وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الأدب واللغات

قسم الأدب واللغة العربية.

أسس التنظير النحوي عند الكوفيين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية،

تخصص: علوم اللسان .

إعداد الطالب: لزهر العمراوي

إشراف الأستاذ: صالح حوحو

السنة الجامعية :

1433 هـ / 1434 هـ

2012 م / 2013 م

مقدمة

مقدمة

اللغة العربية مصدر اعتزاز و فخر لأبنائها، و لطالما بقيت كذلك، فقد كانوا يتفاخروا بالفصاحة، و براعة التركيب، و إصابة المعنى، و بلاغة الإيجاز، فازدهرت الخطب و الأشعار، و رواية الأنساب و الأخبار، و كون خاتم الأنبياء و المرسلين أشرف الخلق أجمعين واحد من إحدى أشرف القبائل و نزول الوحي الكريم بلسان عربيّ مبين مما زادها عظمة شأنا، و توعد الله بحفظ كتابه، فكان مدعاة لحفظ اللغة التي كتب بها، لذلك سخر الله لها رجالا أفنوا الغالي و الرخيص لبناء علم يحمي صرح اللغة من الاندثار، فكان علم العربية (النحو)، الذي نشأ بسيطا ليصل حد الكمال في قرن الرابع للهجري، و تطورت قضايا، و صنفت أبوابه، و وضع القياس، و مدت العلل، فما قيس من كلام العرب هو من كلام العرب و ما دون ذلك فهو مردود ضعيف لا يرقى للمستويات الفصاحة، و ما هو من كلام العرب، و هكذا كان النحو المقوم الوحيد للألسن، و حامي حمى اللغة من اللحن، و اللحانين، و لأن الناس تختلف في الطباع و الميول، و طرق التفكير لاختلاف مداركهم و الظروف الثقافية و الاجتماعية و النفسية، فنشأ عن هذا تعدد الاتجاهات، و اختلافها، و غايتهم من هذا كله الحفاظ على العربية،

و المعروف أن العرب تحب تسجيل مفاخرها، فقد كثر تأليف في الموضوع على أيدي المتأخرين، و لم يكن لهم خيار إلا أن يسلكوا سبيل أحد المتخالفين مما زاد من حدة الخلاف، فتكونت من هذا المدارس و تعددت، و قد سجل النحاة المعاصرين أسماءهم بقوة في الحديث عن هذا الخلاف و أسبابه، و أكثروا منه، فيظاهروا إحدى المدارس على أخرى تارة، أو يكتفون بذكر مسائل الخلافية، و نقاط القوة و الضعف لكل مدرسة تارة أخرى، و ما لاحظناه أن أغلب الدارسين كانوا ميالين للمدرسة البصرية المعتمدة على التحري في الأخذ، و تتبع أخبار الراوي و المرويّ، على المدرسة الكوفية، التي اهتمت بالجانب اللغوي، فلم تراعي التحري اهتمام كبيرا، فنسبوا إليها التغليط، و إفساد النحو، من تكمن أهمية هذه الدراسة ، إذ تسلط الضوء

على إحدى المدارس النحوية العربية، و تتبع مراحل نشأتها، و تتبع منهجها في الدراسة، و إسهامات رجالها في تشييد بناء النحو،الذين يعد لهم الفضل إثراء التراث النحوي، و إذكاء شعلة المنافسة بين نحاة المدرستين، فتولدت لدينا رغبة في خوض غمار هذا الموضوع و استبصار خباياه، حبا في معرفة تاريخ علم العربية و مدارسها، يدفعنا الفضول في الكشف عن الأسباب الخلاف، فهل حقا نستطيع القول أن الكوفيين تفردوا بمذهب مستقلا عن نظرائهم البصريين، و ما هي الأسس التي اعتمد عليها المدرسة في تنظيرها النحويّ .

و قد استوت مادة هذه الدراسة على فصليين، يتقدمهما مقدمة، و تمهيد، و يقفوهما خاتمة، أما التمهيد فقد عرضت فيه لمحة تاريخية عن مدينة الكوفة، و تعريف النحو نشأته، و ذكر بعض المدارس النحوية مع أشهر نحاتها وتفرغ الفصل الأول بالحديث عن نشأة الندرسة الكوفية في المبحث الأول، و المبحث الثاني فقد عنيّ بذكر رجال المدرسة أهم ما قيل فيهم، أما المبحث الثالث فقد تطرقنا فيه عي موضوع منهج المدرسة، و كيفية الدراسة .

أما الفصل الثاني: فقد تناولنا فيه أسس التنظير النحو الكوفي، و اقتصر الحديث عن الأساس اللغوي الأدبي للفكر النحوي الكوفي في المبحث الأول: الذي يعد من أهم الأسس في اختلاف المدرستين، حيث ذكر مصادر المدرسة و كيفت تعامل كل من مدرسة مع المدونة، و المبحث الثاني فهو للحديث عن الأساس السياسي للفكر النحوي الكوفي، و كيف أثرت السياسة على النحاة، و ما لرجال الخلافة من أثر في انتشار مذاهب بين الناس، أما المبحث الثالث فقد كان للأساس الديني للفكر النحوي الكوفي، و فيه نتكلم على طريقة تعاملهم مع القراءات، و جاءت الخاتمة لتتوج البحث بأهم النتائج المتوصل إليها .

و طغى على البحث المنهج التاريخي، و المنهج الوصفي، حيث تتبعنا خطوات الولى لنشأة المدرسة، و كيف تبلورت آراؤهم لتكون مدرستا بحق، و ذكرنا أيضا لقطات تاريخية للمدينة و رجالها، و ما لسياسة من أثر، أما الوصفي فقد حاولنا ذكر أهم الأسباب التي حالت بين الاتفاق ، و عرضنا بعض مسائل الخلاف بين المدرستين .

و قد تنوعت المصادر و المراجع في هذا البحث، بتنوع العناصر المدروسة، حيث تراوحت بين المصادر و المراجع التاريخية، و الدراسات القديمة و الحديثة، و ذلك قصد الدقة و إلمام بوجهات النظر لمد جسور التواصل بين الماضي المغمور و الحاضر المشرق و المستقبل المنظور، و أهم هذه الروافد هي كالأتي:

" المدارس النحوية " لشوقي ضيف، و" المدارس النحويـة "« أسـطورة و واقـع » لإبراهيم السامرائي، و" بغية الوعاة فـي طبقـات اللغـويين و النحـاة" لسـيوطي، و" إنباه الرواه على أنباه النحاة " للقفطي، و" شذرات الذهب في أخبار من ذهب " لابن العماد، و " تاريخ آداب اللغة العربية " لجرجي زيدان، و الأصول " لتمام حسان، و " في أصول النحو " لسعيد الأفغاني، و " معجم البلدان " لياقوت الحموي .

و في هنا أنتهز الفرصة لأتقدم بجزيل الشكر لكل من سـاعدنا مـن قريـب أو مـن بعيد في إنجاز هذا البحث

وأخيرا لست أدعي أنني بهذه الدراسة قد ألممـت بالموضـوع مـن جميـع جوانبه وشتى أطرافه، فذلك مـا لا يمكـن أن يـدعيه البـاحث، فـالله سـبحانه وتعالى المتفرد بالكمال وحده، وإنما هي محاولة مني لإستجلاء أهم جوانب هذا الموضوع، فإن وفقت فذلك ما أتمناه، وإن كان غير ذلـك فحسـبي أنـي لم أدخر جهدا، وما توفيقي إلا بالله .

تمهيد :

الحديث عن الأسس التنظير النحويّ عند علماء المدرسة الكوفية، يدعو بالضرورة إلى التطرق للبعض العناصر التي يحتويها العنوان، لأنها تتصل بالموضوع، إلا أنها ليست من صميمه، و تكون بدايتنا بـــ :

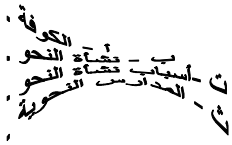

الكُوفَةُ : "بالضم :« المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق و يسميها قوم خد العذراء »[1]، واسم الكوفة أطلق عليها بعد تمصيرها، إذ لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل ذاك التاريخ، فلم يسكنها العرب ولا غيرهم، إنما كان موضعها جزءا من الضفة الغربية للفرات الأوسط، إلى الشرق من مدينة الحيرة .

و اختلف المؤرخون في أصل التسمية، إذ نجد الجذر اللغوي« ك،و،ف» " في لسان العرب" بمعنى:« كَّوَفَ الأَدِيمَ: قَطَعَهُ، و كَوَفَ الشَيْءُ: نحاه، وكَوَفَهُ: جَمَعَهُ، و التَكَوُّفُ: التَجَمُعُ، و الكوفَةُ: الرَّمْلَةُ المُجْتَمِعَةُ، وقيل: الرملة الحمراء، و بها سميت الكوفة، و عن ابن سِيدَه: الكوفة بلد سميت بذلك لأن سعداً لما أراد أن يبني الكوفة ارتادها لهم، و قال: تَكَوَفوا في هذا المكان، أي اجتمعوا فيه، و قال المُفَضَل، إنما قال: كَوِّفُوا هذا الرمل، أي نَحُوهُ و انْزِلوا، ومنه سميت الكوفة »[2] .

و أما تمصيرها قيل أن سعدا لما افتتح القادسية، أرسل وفدا إلى عمر بهذه الفتوح، فلما رآهم سألهم عن تغير ألوانهم و حالهم، فقالوا: وخومة البلاد غَيَّرَتْنَا، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلا ينزله الناس، و قيل بل كتب حذيفة إلى عمر: « إن العرب رقت بطونها، و جفّت أعضادُها، و تغيرت ألوانها، و كان مع سعد فكتب عمر إلى سعد: أخبرني ما الذي غيّر ألوان العرب و لحومها؟، فكتب إليه سعد إن الذي غيرهم وخومة البلاد و إنّ العرب لا يوافقها إلا ما يوافق إبلها من البلدان، فكتب إليه عمر فليرتادوا منزلا بريا بحريا ليس بيني و بينكم فيه بحر و لا جسر، و لما نزلها سعد كتب إلى عمر إني قد نزلت بالكوفة منزلا فيما الحيرة و الفرات بريا بحريا ينبت الحلفاء و النصيّ و خيرت المسلمين بينها وبين المدائن، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها "»[3] .

1() : ياقوت ، معجم البلدان ، ص 409.

2.(): ابن منظور ، لسان العرب، ج 09، ص 311)

3(): ابن الثير الجزري ، الكامل في التاريخ ، ص 372 – 373.

و ما إن دبت الحياة في المصر الجديد حتى توافد الناس عليه من كل صوب، فأخذ المجتمع فيه يتعقد شيئا فشيئا، حتى أصبح من الأمصار الإسلامية التي قامت بنصيبها العظيم في خدمة الإسلام والحضارة .

نشأة النحو: قبل الحديث عن نشأة النحو يجب الإشارة لمفهوم النحو لغةً و اصطلاحا:

لغة: هو القصد و الطريق، وقد جمع الإمام الداودي معاني النحو هي :

لِلنَّحْوِ سَبْعُ مَعَانٍ قَدْ أَتَتْ لُغَةً جَمَعْتُهَا ضِمْنَ بَيْتٍ مُفْرَدٍ كَمُلا

قَصْدٌ، و مِثْلٌ، ومِقْدَارٌ، ونَاحِيَةٌ نَوْعٌ، و بَعْضٌ، و حَرْفٌ، فَاحْفَظِ المَثَلا.[1]

و الاصطلاحا:« إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب و غيره، كالتثنية ؟، و الجمع، و التحقير، و التكبير، والإضافة، و النسب، و التركيب (...)، و هو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا، كقولك : قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم »[2].

اتفق معظم الباحثين أن سبب ظهور النحو كان شيوع اللحن في العربية، وذلك حين ما كثرت الفتوحات الإسلامية على البلدان المجاورة مما جعل شعوبها تقبل على العربية تتعلمها، خاصة وهي لغة الدولة و الدين، برغم أن اللحن كان معروفا في الجاهلية و صدر الإسلام، و ما وجد في الكتب من روايات لدليل على ذلك، و من ذلك :

روي عن الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه لحن رجل بحضرة الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ فقال عليه السلام :« أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل »[3] .

---

1 (): 7 . عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، ص

2( ): 34 . ابن جني ، الخصائص ،ص

3(): 164 . محمود مصطفى، الأدب و العربي و تاريخه، ج 01، ص

و المشكلة أن اللحن انتقلت عدواه إلى العرب الخلص، حتى قيل أن الحجاج بن يوسف لم يسلم من اللحن [1] .

<u>أسباب نشأة النحو</u>: و يمكن أن نلخص أسباب نشأة النحو في ثلاث أسباب بارزة هي الآتي:

السبب الديني : يعود إلى مكانة القرآن في نفوس المسلمين، و حرصهم على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءا سليما، وخاصة بعد أن شاع اللحن على الألسنة، إذن فالخوف على القرآن الكريم من مخاطر اللحن من جهة، و من جهة أخرى عدوى الفتنة التي كادت تعصف بالمسلمين بسبب اختلاف القراءات .

السبب القومي: بعد نزول الوحيّ وجد العرب أنفسهم قوامين على أمم ذات حضارات قديمة و ثقافات متنوعة ، كحضارة الفارسية، و الثقافة اليونانية (...)، إلا أن حياة العرب تكاد تخلوا من ذلك لبساطة عيشهم ، فكان على العرب أن يختاروا بين أمرين، إما أن يكونوا أصحاب رسالة لا تستند إلى ثقافة، و إما يسلكوا الطرق التي تليق بأمة قائدة فيسعون إلى إنشاء ثقافة قومية، و ما هو معروف أيضا« أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، مما جعلهم يخشون من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم ، و خوفا عليها لا من الفناء و الذوبان في اللغات الأعجمية »[2]، و هو رأي الدكتور شوقي ضيف .

السبب الاجتماعي أو السياسي : و يرجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست بحاجة شديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها و تصريفها، حتى تتقن النطق الصحيح، و الفهم السليم، وخاصة أن القرآن دستور الأمة، و لغة المجتمع، وكانت اللغة هي العائق أمام الموالي و المناصب الرفيعة، إلا من استظلوا بظل الفصاحة .

1(): الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص 163 .

2): شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص 12).

علم النحو شأنه شأن كل العلوم لم يظهر هكذا اعتباطا، إنما اقتضته الحاجة، ثم أخذ

في التطور رويدا رويدا حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، و مع تقادم الأيام اختفت أخبار الطبقات الواضعين الأولى، فقد اختلف الناس في نسبة نشأة النحو، تضطرب الروايات في وضع أبي الأسود للنحو، حيث رويّ أن « قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل من يقرئه شيأ مما أنزل؟ فأقرأه رجل سورة براءة، فقال([illegible]) [التوبة/ الآية الثالثة]، بجر (رسولهِ)، فقال الأعرابي: أوَ قد برئ الله من رسوله(...) فأنا ابرأ منه، وبلغ عمر مقولة الأعرابي، فأعاد رضي الله عنه قراءة الآية، لكن هذه المرة برفع "رسولهُ"، فقال الأعرابي: و أنا والله أبرأ ممن برئ الله و رسوله منه، فأمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، و أمر أبا الأسود أن يضع النحو»[1]، و قيل أن ذلك إثر الحادثة التي وقعت بينه بين إبنته، حين سألته "ما اشدُّ الحر، فظنها تستفهم ، فقص هذا على علي ــ كرم الله وجهه ــ فأمره أن يرسم العربية ، فقال: الكلام كله يخرج عن اسم و فعلٍ (...)،« وقيل أن زيادا أمر أبا الأسود أن ينقط الحروف»[2]، إلا أن هناك من نسب هذه الروايات إلى الوضّاعين المتزيدين، أي أنها الروايات منتحلة، لأن« أبا الأسود وضع نقط الإعراب، وسميّ باسم رسم العربية، لهذا ضّن الناس أن أبا الأسود رسم النحو، وشيئا من أبوابه،

وهو إنما رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه »[3] .

1(): ابنالأنباري ،نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص 17ـــ 18 .

2(): أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني ، ، ص 298 .

3(): شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 16.

لكننا في هذا البحث لسنا بصدد تحقق من صحة هذا القول أو تكذيبه، و إن كثرت الأقاويل حول هذا الرأي بين مكذبٍ و مصدقٍ، و كل باحثٍ يبحث عن أدلة لإثبات صحة أقواله ، لكن من خلال الأقوال السابقة نجد أنها تقف في أن الواضع الأول للنحو هو أبي الأسود وإن تعددت أسباب التي جعلته يرسم النحو، فمنها ما يجعل ذلك من عمله وحده، و منها ما يصعد به إلى علي بن أبي طالب، و تبقى هذه الروايات معتمدة في البحوث الأكاديمية، لأننا لا نستطيع تحقق من صحتها لتباعد الأزمان .

المدارس النحوية :من خلال ما ذكرت سابقا، نجد أن أسباب نشأة النحو ساعدت كثيرا في تطور النحو و نموه، حيث ظهرت طبقة من المعلمين تفرغوا لدراسة النحو و تعليمه لمن أراد تعلم نطق العربية نطقا صحيحا، و اتسعت دائرة هذه الطبقة، و تعددت آرائهم بتعدد مناهجهم في الدراسة مشّكلة بذلك مذاهب نحوية أطلق عليها المعاصرون مصطلح "المدارس النحوية"، و إن كان لبعضهم بعض التحفظ من هذا، ونذكر من هؤلاء الدكتور إبراهيم السامرائي في قوله:« لم يطلق القدماء على مسائل الخلاف في النحو القديم كلمة "المدرسة"، فلم يؤثر عنهم مصطلح "المدرسة البصرية" (...)، ولكننا نقرأ من قولهم :مذهب البصريين و (...) ، وربما مذهب الأخفش (...) ، واستحسن المعاصرون لفظ "المدرسة" فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي كما استعاروها في مسائل أدبية أخرى»[1]، إلا أننا نجده يذكر هذا المصطلح في طيات الكتاب، و لا ندري إن كان من باب الصدفة أو من باب عدم الاختلاف في استعمال المصطلحات، قد لا يعبر المصطلح على معناه الحقيقي إلا أننا نجد خفة على اللسان و أسهل نطقا، و مادام أنه يعبر على المعنى المتفق عليه ولا اختلاف فيه عند جمهور النحاة و الدارسين فلا ضير من استعماله ، و سنحاول استعراض

بعض هذه المدارس، للاختصار لا على سبيل التفضيل ، و ستكون البداية مع :

1 (): 7 إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية ، ص .

مدرسة البصرية : أجمع كل الدارسين أن مدرسة البصرة سباقة بوضع النحو، و تبدأ جهود علمائها من بداية رسم أبي الأسود للنحو، حيث استأثرت بـه و تعهدته، و« قد ساعدها على أن تحرز هذا السبق موقعها على أطراف البادية قرب من العروبة الصافية ، فأقبل علمائها يجمعون اللغة والأشعار من مصدر صاف بعيدا عن الشوائب، و عوامل الضعف »[1]، حيث انتهجت منهجا خاصا في البحث النحوي، إذ لا يؤخد إلا بالشواهد الموثوقة بصحتها، المتداولة الشائعة بين الناس، مما جعل قواعدهم أقرب إلى الصحة، و كل ما خالف القاعدة يهمل و لا يقاس عليه .

و من طبقات هذه المدرسة نذكر: نصر بن عاصم الليثي(-79 هـ)، و عنبسة بن معدان الفيل المهري(-100 هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني(-129 هـ)، و عبد الرحمن بن هرمز(- 117هـ) ، و(...)، إلى أن نصل للطبقة سبويه وهو: أبو بشر عمرو بن قنبر، و لقب بسبويه " رائحة التفاح، لم نتبع في ترتيب النحاة بأسبقية الأخذ ، إنما هو ترتيب بحسب تواريخ الوفاة لا غير .

المدرسة بغدادية : " تأسست هذه المدرسة في أوائل القرن الرابع الهجري، من علماء اختلفت مشاربهم منهم من أخذ عن البصريين، و من أخذ عن الكوفيين، و منهم أخذ عن المذهبين و نظر إلى العلم نظرة خاصة متجردة عن العصبية، فتفردوا عن الدارسين بإتباع منهج جديد، «حيث فرقوا بين علميّ النحو و الصرف، وقيل أول من ألف في الصرف وحده المازني، و منهم من خلط بين الاثنين إلا أنه قدم النحو ثم تكلم عن الصرف بعده، وأهم خصائص هذه المدرسة هو الترجيح بين المذهبين البصريّ، و الكوفيّ، أي أنهم قارنوا بين آراء المدرستين السابقتين و ترجيح الرأي الأقرب للصحة »[2] .

1(): 15 ص ، سبويه و الخليل بين الخلاف مسائل قدارة، سليمان صالح فخر .

2():88 ص النحو، نشأة في الموجز ، محمد أحمد الشاطر محمد .

من أشهر نحاتها: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج(- 311 هـ) ، و وأبو بكر محمد بن السري السراج(- 316ه)، وهناك يعدهما من علماء البصرة، وهو رأي " الزبيدي " في كتابه طبقات النحويين و اللغويين " ضمن الطبقة التاسعة"، و ابن الأنباري: وهو محمد بن قاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الإمام أبو بكر بن الأنباري(-328 ه)، و عد من نحاة الكوفة عند" الزبيدي "[1]، وابن خالويه وهو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله الهمداني النحوي(ـــ 370 ه).

المدرسة المصرية : " نشطت دراسات النحو في مصر مبكرة بالمقارنة لمثيلتها الأندلسية ، مع العناية بضبط القرآن الكريم ، ومن أدم المؤدبين فيها عبد الرحمن بن هرمز (-117ه)، و أول نحويّ بمصر بمعناه الدقيق ولاد بن محمد التميمي، (...) وتلت بعد هذا طبقات من أشهر أعلامها : الدِّينَوري بن جعفر (-279ه)، و محمد بن ولاد (- 298ه) ، كراع النمل و هو علي بن الحسن الهُنائي الأزدي (-320ه)، و أبو العباس أحمد بن محمد بن العباس بن ولاد (-332ه) "[2] ،" و ابن الحاجب و هو عثمان بن عمر(-646ه)، و ابن هشام و هو عبد الله جمال بن يوسف الأنصاري (-761ه)، السيوطي وهو عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر (-911 ه) .

المدرسة الأندلسية :" اتساع رقعة الخلافة الإسلامية ، وبعد مراكز الحلقات العلمية مما جعل علماء الأندلس و المغرب يتنقلون من المغرب إلى المشرق، وخاصة العراق مهد العلوم، يتدارسون و يأخذون من علماءها ، ثم يعودون بما وعوا من علم و ما جمعوا من كتب، حتى نشأت طبقة من المدرسين، والملاحظ أن اغلب المؤدبين كانوا من القراء، فالقرآن الكريم هو المحرك الرئيسي لهؤلاء الجماعة، و نحو الأندلس كان أقرب إلى نحو الكوفة من نحو البصرة، لأن كتاب الكسائي كان

1() الزبيدي، المصدر السابق ، ص 111 -112، وص 154:

2(): شوقي ضيف ، الدارس النحوية ، ص 328 – 329 .

أسبق إليهم، وهم أهل قرآن، حتى كتاب سبويه لم يغير من منهجهم كثيرا »[1]، و من أشهر نحاتها: أبو موسى الهواري، جوديّ النحوي بن عثمان(- 198 ه) و الغازي بن قبس(-199 ه)،و أيضا الأحدب و هو أبو الغمر عبد الواحد بن سلام (ـــ 209ه)[2]، و ابن مظاء و هو أحمد بن عبد الرحمن بن مظاء (ـــ 592ه)، و ابن مالك و هو محمد بن محمد الصنهاجي (-723 ه) [3] .

حاول في هذا المقتطف الصغير الإشارة إلى لمحة من تاريخ نشأة النحو، و أشهر مدارسها و كيف نشأت و السبيل الذي سلكته في تقعيدها النحوي، مع ذكر النحاة الأوائل لكل مدرسة باختصار، لأنها ليست من محتويات الموضوع إنما هي كفاتحة له ، بها نستطيع الولوج إلى صميم الموضوع .

1((: المرجع نفسه ،ص 47.

2(): الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 253 – 257.

3(): علي النجدي ناصف ، تاريخ النحو ،ص 49

المدرسة الكوفية النشأة و التطور :

يرى كثير من الباحثين أن المدرسة الكوفية تأخرت في النشأة عن المدرسة البصرية بنحو قرن من الزمن،لأن أبا الأسود الدؤلي قد نزل بالبصرة و تتلمذت له جماعة من المتعلمين، و كانوا كلهم من النحاة البصريين، فتفردت بمزية السبق في نشأة النحو، و ذاع صيتهم في المعمورة فاشتهروا، فأراد الكوفيون الارتقاء لما وصل إليه البصريون، فاتجهوا إلى النحو يدارسونه، حيث كانت الكوفة وقتها تشتغلون بالفقه و أصوله، ومقاييسه، و فتاواه، و بالقراءات، و روايتها مما جعلها تحظى بمذهب فقهي، و هو مذهب أبي حنيفة، و بثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي، و الإسلامي، وهم:«عاصم بن أبي النجود، الضرير الكوفي (ت 127ه)، و حمزة أبو عُمَارة حمزة بن حبيب بن إسماعيل الكوفي الزيات (ت 156ه)، و أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بَهْمن بن

فَيْروز الكوفي النحوي (ت 189ه)»[1]، و اشتغلت أيضا برواية الأشعار القديمة، و الأخبار، إلا أنهم كانوا لا يبدون اهتماما كبيرا في التثبت في صحة سند ما جمعت من أشعار.

و يرى بعضهم أول من عرف بالنحو في الكوفة كان:« شيبان بن عبد الرحم التميمي النحوي(ت 164هـ)، و كان بصريا، و ثم انتقل إلى الكوفة و سكن بها،و أخذعنه الهراء،

و هو صاحب أول حلقة لتدريس النحو في المسجد الجامع بالكوفة»[2] .

و يرى البعض الأخر أن البداية الحقيقية كانت مع معاذ الهراء، و أبو جعفر الرؤاسي: الهراء (ت 87ه): و هو من قدماء النحويين، « أخذ عنه الكسائي»[3]، و قيل أنه اشتغل بالأبنية إلى أن غلبت عليه الناحية الصرفية، حتى عده المؤرخون الواضع للصرف، منهم السيوطي، و لربما ما أوحى للسيوطي أن يذهب إلى هذا الرأي:« ما رواه عن أبي مسلم أنه سُمِعَ الهراء يقول لرجل : كيف تقول من " تؤُزُّهم أزًّ": يا فاعل افعل»[4]، و في الطبقات:« و وصلها بيا فاعل افعل من(ㅈ ㅇ .

ㅍ. ㅊ ㅅ ㅈ ㄹ ㅎ ㅅㄹㅂㅅㅈㅄ ㅂ ㅎ ㅆ ㄴ ㄱ. ㄼㅙ ㄷ ㅁ ㅌ ㅎㄹ ㅍ ㅂ ㄸ ㅅ

) [التكوير/ الآية السابعة]، قال: و جواب المسألة:" يا آزَّ أزَّ"، و إن شئت:"أزِّ و إن شئت "أزُّ "، و شئت: "أوزُزْ"، فالفتح أخف الحركات، و الكسر لأنه أحق بالتقاء الساكنين، و الضم للإتباع، و كذلك:" يا وائد إِدْ"، مثل" يا واعد عِدْ "»[5] .

1(): 138 – 125 –151 عبد العالي سالم مكرم، الإقناع في القراءات السبع ص .

2(): 354 مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج 01، ص .

3(): 50 ابن الأنباري، نزهة الألباب في طبقات الأدباء، ص .

4( ): 291 السيوطي، بغية الوعاة، ج 02، ص .

5( ): 292 الزبيدي، طبقلت النحويين ص 126، و القفطي، انباه الرواة، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ص .

و يرى الدكتور شوقي ضيف أن « كل ما أثر عنه أنه كان يعرض لبعض مسائل التصريف، و كان علمه بالصرف مثل علم الرؤاسي في النحو كان علمًا محدودًا لا غناء فيه، و لا شيء يميزه من علم البصرة »[1] .

ـــــ و أما الرؤاسي: أخذ عن عيسى بن عمر،« و كان ممن عقدت له حلقة تدريس

للنحو في المسجد الجامع بالكوفة»[2]، و قال الزبيدي: «أنه كان أستاذ أهل الكوفة في النحو، و أخذ عن و عيسى بن عمر»[3]

و يقول أبو البركات فيما رواه عن" أبو محمد بن دوستريه:« زعم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب أن أوّل من وضع من الكوفيين كتابا في النحو الرؤّاسي، وكان الرؤاسي أستاذ الكسائي»[4]،و يضيف السيوطي:« وهو أستاذ الكسائي و الفراء، و كان رجل صالحا»[5]

و يحكى عنه أنه قال:« أرسل إليّ الخليل بن أحمد يطلب كتابي، فبعثته إليه، فقرأه، و وضع كتابه"، و قد صنفت له عدة كتب منها: كتاب "معاني القرآن"، و كتاب

1( ): 154 ص ،المدارس النحوية ،شوقي ضيف .

2( ): 45 ص ،مراكز الدراسات النحوية ،عبد الهادي الفضلي .

3( ): 125 ص ، ،طبقات النحويين ،الزبيدي .

4( ): 50 ص ، ،نزهة الألباب ،ابن الأنباري .

5( ): 82 ص ،01 ج ،،بغية الوعاة ،السيوطي .

"الوقف و الابتداء"، الكبير و الصغير، وكتاب "التصغير"»[1]، و ذكر الزبيدي كتاب "الجمع الإفراد"[2]، و ذكر السيوطي أن له كتاب "الفيصل" [3]، .

إلا أن هناك من قال أن الرؤاسي مطروح العلم، ولم يدل في النحو بآراء ذات قيمة، و لم يذكر اسمه في كتب من جاء بعده ، و في هذا يقول أبو حاتم:« كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي، و هو مطروح العلم ليس بشيء»[4]، لو كان مطروح العلم كما

قال، فكيف طلب الخليل منه أن يبعث إليه بكتابه، و هذا دليل أن له في النحو باع طويل.

و بهذا يقف الدكتور شوقي ضيف موقف الرافض لرأي نشاة المدرسة الكوفية مع الهراء و الرؤاسي أستاذا الكسائي و الفراء، إذ لم يتفردا برأي خاص، فهما امتداد لمن سبقهما من نحاة البصرة، كسيبويه و الخليل، و بذاك لا يمكن أن نحكم على أنهما صاحبا الفضل في نشأة المدرسة، إلا إنه لا يختلف مع الدارس من الدارسين على كونهما من طبقات الكوفيين الأولى .

و هناك فريق يرى أن البداية الفعلية للفكر النحوي الكوفي تنحصر بين العلمين الشهيرين: الكسائي و الفراء أين ارتسمت ملامح المذهب النحوي، و وضعت أسسه و أصوله التي ميزته عن المذهب البصري .

1(): 56 ابن الأنباري، نزهة الألبابص .

2((: 125 الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين ، ص .

3( ): 83 السيوطي، بغية الوعاة، ج 01، ص

4( ): 154 شوقي ضيف ، المدارس النحوية، ص نقلا عن مراتب النحويين .

يقول بن الأنباري:« لو لم يكن لأهل بغداد و الكوفة من علماء العربية إلا الكسائي، و الفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس، و إذا انتهت العلوم إليهما»[1].

و أما الكسائي(ت 189هـ) فقد أخذ عن أبي جعفر، و معاذ الهراء، و الخليل بن أحمد و يونس بن حبيب[2]، و أخذ عنه أبو زكرياء بن زياد، الفراء، و أبو عبيدة القاسم بن

سلام ، و قرأ "كتاب" سبويه " على الأخفش [3] .

و من مسائل الكسائي النحوية جواز« نصب الاسم المتقدم بالفعل المتأخر، و ألغى الضمير»[4]: في قولهم :(زيدا ضربته) بالفعل الذي بعده، لا بفعل محذوف مفسر، و الفعل الظاهر عنه يكون ناصبا (زيداً)، و ضميره (...)، مع أنه لا يتعدى بنفسه عند البصريين إلا إلى مفعول واحد .

و أيضا جواز إضافة " حيث " إلى مفرد قياسا، مستشهدا بقول الشاعر، و هو ما أنشده ابن الأعرابي :

و نطعنهم حيث الحُبَى بعد ضربهم * ببيض المواضي حيث لَيِّ العمائمِ[5] .

1(): ابن الأنباري، نزهة الأباب، ص 93 .

2( ): السيوطي، بغية الوعاة،، ج 02، ص 163 .

3(): الزبيدي، طبقات النحويين، ص 73 .

4(): خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ، ج 01، ص 442 .

5(): إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية، ص 35 – 36 .

و أنكر البصريون عليه اعتماده على شاهد واحد، وجعله أصلا، حيث أنهم يحكمون عليه بالشاذ، فيحفظ، و لا يقاس عليه، أما الكسائي فقد كان يعتد به، و يجعله أصلا، و يقيس عليه، لذلك قال ابن درستويه:« كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضّرورة فيجعله أصلا، و يقيس عليه، فأفسد بذلك النحو »[1]، و لربما رأى الكسائي بأنه فصيح مطرد بين ألسنة بعض القبائل التي لا يستشهد بها البصريين، فاطمأن له و جعله شاهدا على هذا الموضع فقاس عليه .

و له كتب كثيرة نذكر بعضها : كتاب "معاني القرآن"، و كتاب" مختصر في النحو"، و كتاب "القراءات"، و كتاب "العدد"، و كتاب "اختلاف العدد" (...)[2].

و أما الفراء (ت 207هـ)، تلمذ للكسائي، و عنه قال الزبيدي: « أنه كان أبرع الكوفيين في علمهم، و يحكى أن أبي العباس أحمد بن يحي ثعلب قال: «لولا الفّراء لما كانت اللغة، لأنه خلصها و ضبطها، و لولا الفّراء لسقطت العربية، لأنها كانت تنازع و يدّعيها كل من أراد، و يتكلم الناس على مقادير عقولهم و قرائحهم فتذهب»[3].

و كأن الفراء خلصّ العربية من قيد اللسان ، فوضع لها نظام يضبطها، فصارت غير خاضعة لعادات المتكلمين، وقدراتهم ، إنما المتكلم إذا أراد التكلم بالعربية فلابد له من تعلم النظام أولا، و قد أعجب بكتاب سيبويه مثل أستاذه الكسائي حتى« قيل أنه وجد بعضه تحت وسادته»[4]، و هذا ليس بالأمر الغريب، أو المحير، فقد جمع سيبويه الكتاب من أقول العلماء، و مما استنبطه بنفسه ، و في ذلك يقول أبي العباس ثعلب:« اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان و أربعون إنسانا منهم،

1(): السيوطي، بغية الوعاء، ج 02، ص 164 .

2(): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ص 67 .

3() : الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، ص 131 – 132 .

4( ): الزبيدي، مصدر نفسه ص 71 .

سيبويه، و الأصول و المسائل للخليل»[1]، فاشتمل على كل ما يحتاج إليه المتعلمون، فوجدوا فيه ضالتهم، و نجد أيضا أن النحاة يشيدون به تعظيما له، و ينوهون بإحكامه، و روعة تأليفه، و من ذلك: و قول العباس المبرد لمن يريد أن يقرأ

عليه الكتاب :« هل ركبت البحر ؟، تعظيما له، واستصعابا لما فيه »[2] .

و نجد الفراء قد اعتمد في دراسته للعربية على اللفظ و المعنى، و ذلك كقولك: «"مات زيدٌ" ؛ فلو عاملت المعنى لوجب أن تقول:"مات زيداً" لأن الله هو الذي أماته، و لكنك عاملت اللفظ، فأردت: سكنتْ حركاتُ زيد ، و بذلك خالف أستاذه الكسائي، و سيبويه في حمل العربية على المعنى دون الألفاظ »[3]، و بهذا أخرج الإعراب على اللفظ دون المعنى؛ لأنه لو اعتمدنا على المعنى لما صح الإعراب .

و قال فيه ثمامة بن أشرس المعتزلي :« ذاكرت الفراء فوجدته في النحو نسيج وحده، و في اللغة بحرا، و في الفقه عارفاً باختلاف القوم، وفي الطب خبيرا، و بأيام العرب و أشعارها حاذقا»[4]، وقال فيه الكسائي في جواب عن سؤال سعدون :« الفراء أعلم أم الأحمر؟ فقال : الأحمر أكثر حفظًا، و الفراء أحسن عقلا، و أبعد فكرا، أعلم بما يخرج من الرأس»[5]، و من خلال هذه الأقوال نجد الفراء لم يكن متخصصا في مجال من مجالات العلم، إنما كان متبحرا في علوم شتى فلم يكن لغويا فحسب بل له حتى في العلوم الطبيعية السائدة وقتها، و هو دليل أنه كان ميالا للأحكام العقلية من خلال تطبيق النظريات المنطقية في الدراسات اللغوية .

1(): سيبويه، الكتاب ،ج 01، ص 25 .

2( ): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ص 62 .

3( ): الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين ، ص 131

4( ): ابن عماد، شذرات الذهب، ج 03، ص 39 .

5( ): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ص 93 .

و ذكر بأن له كتابين:« " كتاب الحدود في النحو"، و كتاب العاني" ، و أملى كتبه كلها حفظا، و لم يأخذ بيده نسخة إلا في كتابين»[1] ، و جاء في شذرات الذهب، «(...) يأخذ بيده نسخة إلا كتاب مُلازم، و كتاب نافع ، و عجب له تعظيم الكسائي، و هو أعلم بالنحو منه»[2]

و أما الدكتور شوقي ضيف فله رأي أخر، إذ يرى أن الأخفش الأوسط هو المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية، بقوله:« خالف أستاذه سيبويه في كثير من المسائل، و حمل ذلك عنه الكوفيون، و مضوا يتسعون فيه ، فتكونت مدرستهم»[3]، و يعرض عدة أدلة لتوضيح صحة ما زعمه من أنه الإمام الحقيقي لهم و لمدرستهم ، من ذلك إتباع الفراء له في كثير من آراء، منها :

تأخير الخبر إذا كان المبتدأ مبدوءًا بأنّ المفتوحة ؛ مثل :" أنَّ العلم نور قول مشهور" قاسه على مجيئه مؤخرًا مع أن المصدرية مثل :(و أن تصوموا خير لكم)،

ـــــ و أيضا جواز ترخيم الاسم الثلاثي و كان يمنع ذلك سيبويه في النداء مثل : "حكم" ؛ ياحك بالترخيم (...) .

إلا أن الشيخ محمد الطنطاوي خالف هذا الرأي و رد عليه، بأنه هو« من تأثر بهم ،

فوافق الكوفيين كثيرا في آرائهم لا العكس»[4] ، في قوله:« و إني ذاكر لك بعضا منها على سبيل التمثيل» ، و كأن الخطاب موجه له ، و من أدلته :

1( ) : 84 ص ،ابن الأنباري، مصدر سابق .

2( ) : 39 ص ،03ج ،ابن العماد ، شذرات الذهب .

3( ) : 95 ص شوقي ضيف المدارس النحوية .

4(): 106 ص ،محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة .

تغير نزعة السماع البصرية إلى نزعة القياس الكوفية ، بل أسرف فيها ، و قدم دليلا أخر مستشهدا بقول الرضي: "و غير الأخفش و الكوفيون شرط فيها شرطين : كونها في غير الموجب و دخولها في النكرات ، و الكوفيون و الأخفش لا يشترطون ذلك استدلالا بقوله تعالى :(يغفر لكم من ذنوبكم)[1].

و لا يمكن تجاهل أن نحاة المدرستين قد اتفقوا في المسائل عدة، بالرغم من اختلاف المذهبين، كما اختلف أيضا نحاة المدرسة واحدة، فقد وافق كل من الكسائي و الفراء البصريين، كما وافق الأخفش الكوفيين، و سنحاول ذكر بعض حالات الموافقة، و الاختلاف:

فقد وافق الكسائي، و الفراء البصريين في استبعاد الاستشهاد بالحديث، و ذلك فيما ذكره السيوطي في "الاقتراح" :أن أبا حيان قال:« إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين لأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء،(...)، و سيبويه من أئمة البصريين ، و الكسائي، و الفراء (...)، من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك...»[2].

و من ذلك أيضا ذهاب«الكسائي إلى أن "نعم و بئس" فعلان، كما ذهب البصريون»[3].

و موافقة الأخفش الكوفيين في جواز حذف الموصول إذا كان اسما معلوما، لأن ذلك ثابت في القياس، و السماع ، على خلاف البصريين مثل: (ـ
ﻫ ﺇ ـ ﺍ ﻙ ﺍ ﻑ ﺥ ﺍ . ﻝ ﻭ ﺯ ﺥ . ﺥ ﺯ ﺍ ﻫ . ﺩ ﻑ ﺯ ﺯ ﻙ ﺍ ـ ﺇ ﻫ ﺥ ﺍ ﻭ ﻝ ﺍ ﻭ ﻕ ﻑ . ﺯ ﺯ ﻙ ﺍ ـ ﺇ ﻫ ﺥ ﺍ ﺍﻟ ﻡ ﺭ ﺍﻟ ﻭ ﻕ ﻑ . ﺏ ﺕ ﻫ ﺍ . ﺥ ﻭ ﻝ ﺍ ﻭ ﻕ ﻑ . ﺯ ﺯ ﻙ ﺍ ـ ﺇ ﻫ ﺥ ﺍ
)[العنكبوت/ الآية السادسة و أربعون] ، أي؛ و بالذي أنزل إليكم، ليكون مثل: (

1(): الرضي، شرح الرضيّ على الكافية، ج 04 ، ص 268 .

2(): السيوطي، الاقتراح، ص 20 .

3(): إبراهيم السامرائي، لمدارس النحوية ، ص 37 نقلا عن شرح الأشموني

ﻣ ﺑﺴﺤﺒﻜﻢ ﺍﻟﻠﻪ ﺛﻢ ﻳﻘﻮﻝ ﻟﻠﺬﻳﻦ ﻛﻔﺮﻭﺍ ﻣﻨﻜﻢ ﻭﻻ ﺗﺨﺎﻓﻮﻥ ﺃﻧﻜﻢ ﺃﺷﺮﻛﺘﻢ ﺑﺎﻟﻠﻪ ﻣﺎ ﻟﻢ ﻳﻨﺰﻝ ﺑﻪ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﺳﻠﻄﺎﻧﺎ ﻓﻤﺄﻭﺍﻫﻢ ﺍﻟﻨﺎﺭ ﻭﺑﺌﺲ ﻣﺜﻮﻯ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ ﻓﺒﺌﺲ ﻣﺜﻮﻯ ﺍﻟﻤﺘﻜﺒﺮﻳﻦ ﻗﻴﻞ ﺍﺩﺧﻠﻮﺍ ﺃﺑﻮﺍﺏ ﺟﻬﻨﻢ ﺧﺎﻟﺪﻳﻦ ﻓﻴﻬﺎ ﻓﺒﺌﺲ ﻣﺜﻮﻯ ﺍﻟﻤﺘﻜﺒﺮﻳﻦ ﻭﺳﻴﻖ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺍﺗﻘﻮﺍ ﺭﺑﻬﻢ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﺯﻣﺮﺍ ﺣﺘﻰ ﺇﺫﺍ ﺟﺎﺀﻭﻫﺎ ﻭﻓﺘﺤﺖ ﺃﺑﻮﺍﺑﻬﺎ ﻭﻗﺎﻝ ﻟﻬﻢ ﺧﺰﻧﺘﻬﺎ ﺳﻼﻡ ﻋﻠﻴﻜﻢ ﻃﺒﺘﻢ ﻓﺎﺩﺧﻠﻮﻫﺎ ﺧﺎﻟﺪﻳﻦ ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﺍﻟﺤﻤﺪ ﻟﻠﻪ ﺍﻟﺬﻱ ﺻﺪﻗﻨﺎ ﻭﻋﺪﻩ ﻭﺃﻭﺭﺛﻨﺎ ﺍﻷﺭﺽ ﻧﺘﺒﻮﺃ ﻣﻦ ﺍﻟﺠﻨﺔ ﺣﻴﺚ ﻧﺸﺎﺀ ﻓﻨﻌﻢ ﺃﺟﺮ ﺍﻟﻌﺎﻣﻠﻴﻦ ﻭﺗﺮﻯ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﺣﺎﻓﻴﻦ ﻣﻦ ﺣﻮﻝ ﺍﻟﻌﺮﺵ ﻳﺴﺒﺤﻮﻥ ﺑﺤﻤﺪ ﺭﺑﻬﻢ ﻭﻗﻀﻲ ﺑﻴﻨﻬﻢ ﺑﺎﻟﺤﻖ ﻭﻗﻴﻞ ﺍﻟﺤﻤﺪ ﻟﻠﻪ ﺭﺏ ﺍﻟﻌﺎﻟﻤﻴﻦ)»[1] [النساء/الآية مائة وستة وثلاثون].

و من خلال هذا نجد أن الأخفش قد تأثر بالكوفيين كما ثر هو بدوره فيهم، و ذلك إثر مخالطته للكسائي و الفراء حين قرء لهما كتاب سيبويه، و هو أمر طبيعي عند نحاتنا القدامى حيث أنهم تدارسوا على بعضهم البعض، فكان يبحث الواحد منهم ما ينقصه من عند غيره، و إن كان قد تتلمذ على يده في يوم من الأيام، و هي سمة العلماء فلا يقولون نعلم بكل شيء .

: و من اختلافات النحاة في المدرسة الواحدة نذكر منها

اختلاف الخليل، و سيبويه في أصل " لن " ،« فذهب الخليل إلى أنها مركبة، وأصلها: " لا أنْ " ، حذفت همزة أن تخفيفا، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين، من قولهم: " وَيْلمِّهِ "، و يريدون: " ويْ لأمِّهِ "، و ذهب سيبويه إلى أنها بسيطة غير مركبة من شيء، و أنها من حروف النصب ، بمنزلة " لن "في حروف الجزم»[2] .

و اختلف العلماء في« التعريف بـ " الـ " على أربعة مذاهب : الأول يرى أن المعرِّف هو " الـ " برمتها، و الهمزة أصلية لا زائدة كهمزة "أم" ، و هو مذهب الخليل، أما الثاني يرى أن المعرِّف هو " الـ " برمتها، و الهمزة زائدة، يعتد بها في الوضع كاعتداده كهمزة " اسمع " و نحوه، بحيث لا يعد رباعيا فيعطى مضارعه من الضم الأول ما يعطى الرباعي(...)، و لا يعد لام التعريف وحدها مع القول بأن

1(): 235 ص ، ج 01، شرح التسهيل ، ابن مالك .

2(): 5 ص ، 3 ج ،الكتاب سيبويه، .

همزتها همزة وصل زائدة»[1] ، و« الثالث يرى أن المعرِّف هو "الام" وحدها، و هو مذهب كثير من النحويين منهم الرضي و ذهب المبرد أنّ" المعرِّف الهمزة وحدها، و

الام زائدة فرقا بين همزة الاستفهام و همزة المعرفة »[2] .

و من هذا كله نستطيع القول أن نشأة المدرسة الكوفية، وتفردها بمذهب مستقل، له أسس و مبادئ تختلف عن أسس المدرسة البصرية ، لم تكن إلا كنشأة أي مذهب من المذاهب الأدبية أو اللغوية، أو حتى في العلوم الطبيعية، يبدأ العلم محتشما عبارة عن إرهاصات، كأقوال أو آراء فكرية مبثوثة بين طيات الكتب للعلماء الأوائل، و مع تعاقب الزمن، و اتساع دائرة التابعين، تظهر آراء جديدة متأثرة بآراء أساتذتهم، أو مبنية على الخلاف ، وهكذا تمضي الأيام، و يصير ما كانت آراءا مذهبا مستقل، قائم على أسس، و قواعد تضبطه ، و منهج يتبعه المتأخرون و يسيرون على منواله.

و في ختام هذه الجولة لابد من أن نقول أن المدرسة الكوفية لا تخالف المدرسة البصرية في أصول النحوية العامة، فهي تنطلق مما أخذته عن المدرسة البصرية، و إنما انتهجت منهجا نحويا مغايرا له مبادئ خاصة في التأسيس.

1(): ابن مالك، شرح التسهيل، ، ج 01، ص 253 – 254 .

2(): خالد بن الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج 01، ص 241 .

أعلام المدرسة الكوفية :

قبل البدء في ترجمة أعلام المدرسة الكوفية تبادرت لنا عدة تساؤلات، استوقفتنا طويلا: هل نقتصر على ذكر بعضهم، أم نذكرهم جميعا، و هل نورد كل من عرف أو سمع عنه أنه اشتغل بالنحو، سواء أكان موافقا للنحو البصري أم اختلف، و من هؤلاء: شيبان، و الرؤاسي، و الهراء؟، أم تكون البداية من ترجمة الكسائي باعتباره أول من خالف المدرسة البصرية، كما ذهب العديد من الدارسين المحدثين، و بما أن شيبان بصري فسنكتفي بما ذكرناه في المبحث السابق، أما و الهراء، و الرؤاسي، فهما كوفيان، و لا أرى أيّ مانع يمنع من ذكرهما لكونهما مشاركين في نشأة المدرسة، باعتبار أن كل من الكسائي، و الفراء قد تتلمذا لهما، و إن كان نحوهما لا يختلف عن نحو البصريين، و أما عن التساؤل الأول، فإني اقتصرت على من اعتقدت أن لأرائه أثر الكبير في استقلال المدرسة الكوفية بمذهب خاص، و على أن تكون بدايتنا بإذن الله مع:

01 ـــــ ***معاذ الهراء*** : ، و هو معاذ بن مسلم الهراء أبو مسلم، كان يبيع الثياب الهروية[1]، و قيل كناه بذلك أبوه ، ثم ولد له ولد آخر سماه عليا، فقيل أبا عليّ، مولى محمد بن كعب القُرَظيّ، و عم بن أبي سارة الرؤاسي، و لد أيام عبد الملك بن مروان، و عاش إلى أيام البرامكة، و ولد له أولاد و أولاد أولاد، فماتوا كلهم، وهو باق، و في ذلك يقول [2]:

ما يَرْتَجي في العَيْشِ مَنْ قَدْ طَوى * من عُمرِه الذَّاهِبِ تِسْعِينا .

أَفْنَى بَنِيه و بَنيهم فَقَدْ * جرَّعه الدَهر الأمرينا .

وقد هجاه الخزرجي[3]:

إنَّ مُعاذ بنَ مُسلمٍ رَجُل * قد ضجَّ مِن طُول عُمره الأبَدُ .

قد شابَ رأسُ الزَّمانِ وَ اخْتَضَبْ الـ * دَّهْرُ و أثوابُ عمْرِه جُدُدْ .[4]

و مما نقل من نحو معاذ أنه قال لمن سأله:« إنما كتبوا (و الذي هو يطعمني) بياء لأنها ليست رأس آية، وكتبوا(و يسقين) بغير ياء لأنها رأس آية»[5].

و ذكر السيوطي المسألة التي سمعها أبو مسلم عند معاذ، ثم قال:« و من هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا»[6]، إلا أنه الصرف في تلك الفترة لم

---

1 () :الثياب الهروية : منسوبة إلى هراة بلد بخراسان.

2( ): القفطي، أنباه الرواة، ج 03، ص 292 .

3(): الجاحظ، الحيوان، ج 07، ص 51 .

4): الأبيات في بغية الوعاة منسوبة إلى محمد بن المنذر، ج 02، ص 292).

5(): القفطي، انباه الرواة ج 03، ص 295 .

6(): السيوطي، بغية الوعاة، ج 02،291 .

يكن معروفا كعلم مستقل بنفسه، فلم يفرد النحاة للصرف كتبا صرفية خالصة ، فكانت كتبهم تحتوي على قضايا النحو، والصرف معا .

و كان« يروي الحديث عن جعفر الصادق، و عطاء بن السائب، و روى عنه عبد الرحمن المحاربي، و الحسن بن الحسين الكوفي»[1]،« و حكيت عنه حكايات كثيرة في القراءات، و كان صالح العلم بالعربية»[2]، و« كان معاذ شيعيا، مات سنة سبع و ثمانين، و قيل تسعين و مائة، و قد عاش مائة و خمسين سنة، و كان يشد أسنانه بالذهب من طول ما عمر»[3].

ذكر السيوطي بأن« له كتب في النحو»[4]، لكن اكتفى بقوله هذا دون أن يورد لنا عنوان أيّ كتاب من كتبه،«لكن لم يعرف له كتابا يؤثر عنه»[5] .

02 ـــــــ ***الرؤاسي*** **:** و هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة [6]، ابن أخ معاذ الهراء، و إنما سميّ الرؤاسي لعظم رأسه، و قال ثعلب أن السبب الحقيقي هو:« الرؤاسي منسوب إلى قبيلةمن العرب يقال لها: الرواس، سميت بهذا الاسم لكثرة أكلها، و الروس: الأكل الكثير»[7] أخذ عن عمرو بن العلاء ، وتقدم في النحو،

1(): . السيوطي، المصر سابق، ج 02، ص 292

2(): . القفطي القسنطيني، أنباه الرواة ج 03 ، ص 290

3(): . السيوطي، المصدر سابق، ج 02 ، ص 292

4( ): . السيوطي، المصدر نفسه،ج 02، ص 292

5() : «في نزهة الألباب « و لا مصنف له يعرف»،و في أنباه الرواة« و لم يصنف شيئا فيما علمته

6(): في طبقات النحويين و اللغويين، ص 125،و بغية الوعاة ص 82، و أنباه الرواة ص 107، و في نزهة «الألباب ص 50 «أبو جعفر محمد بن أبي سارة

7() : . عبد العالي سالم مكرم، الحلقة المفقودة في النحو ، ص 408

و كان أستاذ الكسائي و الفراء، حتى قال فيه الكسائي :« ما وجدت بالكوفة أحدا أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي»[1]

و قال عنه الفراء: خرجت إلى مكة، فاجتزت بالكوفة، فقلت لرفيق:« ألا نلقى أبا جعفر! (...)، فبكرنا إليه، فوجدناه يؤذن، و يقول:« الصلاةَ خير من النوم»، ينصبها، فلما فرغ، قلت له: نَصبتَ « الصلاة»، قال:«الصلاةَ خير لكم»، أي؛على الإغراء، فألقينا مسألة ، وقلنا: قال فيها الكسائي كذا و كذا، قال: نعم، رحمه الله، قال الفراء: بلغنا أنك لم تكن تترحم على الكسائي، فقال :قد كان ذلك (...)»، و قال المبرد :« ما عرف الرؤاسي بالبصرة، و قد زعم بعض الناس أنه صنف كتابا في النحو، فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا، فما التفت إليه، و لم يجسر على إظهاره لما سمع كلامهم »[2].

و في قول المبرد يوحي استصغار النحاة البصريين لكتاب الرؤاسي ـــــ إن كان له كتاب ـــ لربما هذا سبب إخفائه له، و اكتفى بالتدريس في المجالس مشافهة، و عدم كتابة آراءه في كتب تخوفا من أن يلحقه الإحراج مرة ثانية ، و النظر المسائل المطروحة أمامه، و من ذلك :

قال جبلة الكوفي:« سألت الكسائي و ابن إدريس عن « الصمد»، فقالا: الذي يُصْمَد إليه الأمور، ثم لقيّ أبا جعفر الرؤاسيّ، فسأله عنه، فقال: لي مثل ذلك، فقلت: كيف جمعه؟ ، فقال : جلّ من سألت عن اسمه! لا يثنى و لا يجمع، فقلت : و إذا كان اسما لمخلوق، قال : أصماد و صُمْدان »[3].

و له كتب منها: كتاب "الوقف و الابتداء، الكبير و الصغير"، و كتاب "التصغير" ،

1(): القفطي، انباه الرواة، ج 04، ص 105 - 106 .

2(): القفطي المصدر نفسه، ج 04، ص 107.

3(): القفطي، المصدر سابق، ج 01، ص 109 .

و كتاب"معاني القرآن"،[1] و أضاف القفطي كتاب "الفيصل"[2]، و ذكر الزبيدي كتاب "الجمع و الإفراد"[3]،« و لم يصلنا من مؤلفاته إلا " رسالة في لحن العامة" منها نسخة خطية في مكتبة برلين، و قد طبعت في برسلاو»[4].

03 ــ *الكسائي* :« و هو عليّ بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، وقيل "بهران"[5]بن فيروز مولى بني أسد»[6]، من أهل "باحَمْشا"[7]، دخل الكوفة و هو غلام »[8]، و تتعدد الروايات حول مولده نشأته فلا نجد أحدا يخبرنا متى و أين ولد بضبط، و هناك من يقول أنه : « ولد فيها سنة تسع عشرة و مائة للهجرة ، و نشأ بها»[9]، قيل:«في قرى

الكوفة »[10]، ثم استوطن بغداد، إمام في اللغة و النحو و القراءة .

1(): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ص 56 .

2(): القفطي، المصدر السابق، ج 01، ص 107 .

3(): الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، ص 130 .

4(): جرجي زيدان، تاريخ آداب الغة العربية، ج 02، ص 117 .

5( ): «و في إشارة التعيين ص 217 :«بهمن»، و بغية الوعاة، ج 02، ص 162:« من ولد بهمن .

6(): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ت إبراهيم السامرائي، ص 58 .

7(): في معجم البلدان،ج 01، ص 316 «باحمشا : بسكون الميم، و الشين المعجمة: قرية بين أوانا و «الحظيرة، و كانت بها وقعة للمطلب أيام الرشيد، و هو مطلب ابن عبد الله بن مالك الخزاعي .

8(): الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، ص 127.

9(): شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 172 .

10(): ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات ، ص 148 .

و سمي بالكسائي؛ «لأنه أحرم في كساء، و قيل : لأنه جاء إلى حمزة ضائفا بكساء، فقال حمزة: من يقرأ؟، فقيل: صاحب الكساء، فبقي عليه اللقب»[1]،و قيل« من قرية يقال لها باكُسايا[2]»[3]، و توسع صاحب انباه الرواة في هذه الرواية ، مضيفا إليها قصة: مناظرته و حمزة الزيات « همز" الذئب" في الآية (فأكله الذيب)، و ترك الهمز في الآية (فالتقمه الحوت)، ثم قال :تقول إذا نسبت الرجل إلى الذئب: قد استذأب الرجل، و لو قلت استذاب، لكن إنما نسبته إلى الهزال، و تقول : قد استذاب الرجل إذا استذاب شحمه، فإذا استحات الرجل أي كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيرا، و لا يجوز فيه الهمز، فلهذه العلة هُمِز الذئب، و لم يهمز الحوت، و فيه معنى آخر: لا يسقط الهمز من المفرد و لا من جمعه، و أنشدهم:

أيها الذئب و ابنه و أبوه * أنت عندي من أذْؤُبٍ ضاريات

قيل : سمي الكسائي من ذاك اليوم»[4]

و قال عنه الفراء أنه« تعلم الكسائي النحو على الكبر، و و كان السبب أنه في يوم مشى حتى أعيا، فجلس غلى قوم فيهم فضل، فقال :قد عيّيت، فقالوا له: تجالسنا و أنت تلحن!، فقال: كيف لحنت؟، فقالوا: إن كنت أردت من التعب، فقل «أعييت »، و إن أردت من انقطاع الحيلة و التحير في الأمر فقل:«عَيِيت» ، فقام على الفور، فسأل عمن يعلم النحو ، فأرشدوه إلى معاذ، فلزمه، حتى استنفذ ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل، و جلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت "أسدا"[5]، و تميما و عندهما الفصاحة، و جئت البصرة ؟، فقال للخليل: من

1() : ابن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 02، ص 408 .

2(): «معجم البلدان ص 327 « باكُسَايا: بضم الكاف و بين الألفين ياء، بلدة بين بغداد و واسط

3(): عبد الباقي عبد المجيد اليماني، إشارة التعيين، ص 286 .

4(): القفطي، انباه الرواة، ج 02، ص 259 .

5(): «و في بغية الوعاة، ج 02، ص 163 ، و أنباه الرواة، ج 02، ص 257 «أسد الكوفة).

أين علمك؟، فقال: من بوادي الحجاز، و نجد، و تهامة ، فخرج الكسائي، و أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فرجع إلى البصرة فوجد الخليل قد مات، فوجد في موضعه يونس بن حبيب فجرت بينهما مسائل أقر له فيها»[1].

ثم عاد إلى حلقات التدريس بالكوفة، و بعد أن استقامت فصاحته، و عربيته، فاستغل ذلك في تلاوة الذكر الحكيم،« و قد قرأ على حمزة الزيات، فأقرأ أزمانا بقراءته، ثم اختار لنفسه قراءة، فأقرأ بها، و كان قد سمع من سليمان بن أرقم، و أبي بكر بن عياش(ت 193ه)، و سفيان بن عيينة(ت 198ه)، و أخذ عنه أبو زكرياء الفراء، و أبو عبيدة القاسم بن سلام»[2]، فكان يتلو القرآن على الناس، و الناس من حوله يسمعون و يكتبون مصاحفهم، فدوى ذكره حتى سمع به أمير المؤمنين المهدي في بغداد.

و قيل سبب اتصاله أن المهدي سأل مؤدب الرشيد:« كيف تأمر من السِّواك؟، فقال:

«اِسْتَكْ» يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: (إنا لله و إنا إليه راجعون)! ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من ذا ، فقالوا: على بن حمزة الكسائي، فاستدعاه، فلما دخل عليه قال: يا علي بن حمزة ، ما تأمر من السواك؟ قل: "سك"[3] يا أمير المؤمنين، قل: أحسنت، و أصبت، و أمر له بعشرة آلاف درهم»[4]، فضمه إلى حاشية ابنه الرشيد، ثم جعله الرشيد مؤدبا لابنيه الأمين، و المأمون، و لمكانته « أخرجه من

1(): 59 ص ،. ابن الأنباري، نزهة الألباب، إبراهيم السامرائي

2): 59 ص ،). ابن الأنباري، المصدر السابق

3 .) سك فاك يا أمير المؤمنين») : و في نزهة الألباب ص 69»

4): 259 ص ،02 ج ،). القفطي، انباه الرواة

طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء، و المؤانسين»[1]، و من ثمة حضيّ المذهب الكوفي برعاية الأمراء مما ساعد على انتشاره، و كثر أتباعه، و عز علماءه، و طغى على المذهب البصرة، فنشأت من هذا عدة مناظرات، و من أشهرها المناظرة التي دارت بين الكسائي و سيبويه، أو كما هي معروفة بحادثة «الزنبور»، حين سألوا سيبويه:كيف تقول «كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي»، أو«هو إياها»؟ فقال:«فإذا هو هي»، فاستشهد الكسائي بمن حضر من أعراب الحطمة، كانوا ينزلون بقَطْرَبل، فقال فيه أبو محمد اليزيديّ[2]:

كُنَّا نَقِيسُ النَّحْوَ فيما مَضَى * على لِسَانِ العرب الأَوَلِ.

فجَــــــــاءَ أقْوامٌ يَقِيسُونَــــــــــهُ * على لُـــغَى أشياخِ قُطْرَبُّلِ.

«بالرغم أن الكسائي كان فصيح اللسان، و لا يفطن لكماله، فلا يخيّل لسامع أنه

يعرب، و هو يعرب، و من ذلك، حادثة نصب «أكثر»، في سورة الكهف/ الآية الرابعـــة و الثلاثـــون]:(ㅊ ㅈ ㅌ ㅇ ㅊ ㅎ ㅇ ㄹㅎ ㅎ ㅅ ㄴ ㅅ ㅇ ㄴ ㅌ ㅅ ㅣ ㅈ ㅟ
ㅅ ㅌ ㅋ ㅂ ㅣ ㅈ ㅈ ㅍ ㄱ ㅋ ㅅ ㅊ ㅅ ㅇ ㅈ ㅅ ㅊ)، و هي بـالرفع، فقال لخلف: يكون أحد من بعدي يسلم من اللحن، قال: لا، إنما إذا لم تسلم منه أنت، فلن يسلم منه أحد بعدك»[3]، و من قول الكسائي نلاحظ مدى خطورة اللحن على القرآن الكريم و اللغة العربية، فإن كان أحد علمائها و يلحن، فماذا يكون ممن لا يعرف العربية ؟ .

و لمكانة الكسائي عند الرشيد فقد كان يذهب معه أينما ذهب، فلما خرج إلى خرسان خرج الكسائي معه، فتوفي إثر علة أصابته برنبويه، في قرية من قرى الري، فقال الرشيد: « دفنا الفقه، و النحو بالري»[4]، و نستشف من هذا أن العلاقة

1): 148 ص ، ، الوفيات، القسنطيني ابن قنفذ(

2)(:: 163 ص ،02 ج ،الوعاة بغية ،السيوطي .

3)(: 263 ص ، اللغويين و النحويين طبقات ،الزبيدي .

4)(: 148 ص ، الوفيات ،القسنطيني قنفذ ابن .

بين الرشيد و أستاذه ليست علاقة طالب بمؤدبه، بل كأكثر من ذلك و إنما كأحد من مستشاريه المقربين.

و صنفت له كتب عدة منها:«معاني القرآن»، و «مختصر في النحو»، و «القراءات والعدد»، و«اختلاف العدد»، و«مقطوع القرآن و موصوله»، و«النوادر» الكبير، الأوسط، الصغير، و «الهجاء»، و «المصادر»[1]، و أضاف السيوطي كتب:«الحروف»، و «أشعار المعايرة»[2]، و ذكر القفطي كتاب «آثار في القراءات»[3]، و بحسب العناوين تبدوا هذه نرى أنها ليست كلها كتب لغوية، وقد أقول أن منها إلا كتابين يوحيان أنها من كتب النحوية ـــ المختصر في النحو، و الحروف ـــ فنقول عنه أن ميوله الأدبية طغت في كتب المنسوبة إليه .

04 ــ <u>الفراء</u> : و هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن "منظور"[4] الديلمي الباهلي الفراء، فارسي الأصل مثل الكسائي[5]، ولد بالكوفة سنة (144ه)[6]، و نشأ بها، و انكب على مختلف الحلقات التدريس و لم يكتفي في الأخذ من أستاذ و احد، بل أكثر ممن أخذ عنهم، و من هؤلاء:« قيس بن الربيع، و مندل بن علي، و حازم بن الحسين البصريّ، و علي بن حمزة الكسائي ، و أبيّ الأحوص سلاّم بن سُليم، و أبي بكر ابن عيّاش، و سفيان بن عيينة، و روي عنه

1(): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ص 69 .

2(): السيوطي، بغية الوعاة، ج 02، ص 164 .

3() : القفطي، انباه الرواة، ج 02، ص 257 .

4() : جاء في طبقات النحويين و اللغويين " بن منصور"، ص 131 .

5(): كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 02، ص 199 .

6(): شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 192 .

سلمة بن عاصم، و محمد بن الجهم السّمري»[1]، و كان أشهر تلاميذ الكسائي، ثم ذهب إلى البصرة، فأخذ عن يونس بن حبيب،« و قيل أنه كان يقدس كتاب سيبويه، فلقد وجد تحت الوسادة التي يجلس عليها»[2]، ثم ارتحل إلى بغداد، و أطال المقام فيها .

وسبب اتصاله بالمأمون «عن بن نجدة: ذات يوم جاء ثمامة، و كان الفراء يتردد على الباب، فقال ثمامة: فرأيت أبهة أدبٍ، فجلست إليه، ففاتشته على اللغة، فوجدته بحرا(...)، فقلت: من تكون؟ و ما أضنك إلا الفراء! قال: أنا هو، فدخلت فاعلمت أمير المؤمنين، فأمر بإحضاره لوقته»[3]، ثم عينه المأمون مؤدبا لإبنيه، ثم أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، و كلام العرب، فأفردت له حجرة، و وكل به جواري، و خدم للقيام بما يحتاجه، حتى أنهم كانوا يؤْذنونه بأوقات الصلاة، و صير له الوراقين، فكتبوا حتى صنف«الحدود»، فوضع في الخزانة، ثم خرج للناس ، و ابتدأ يملي كتاب «المعاني»،، و أراد وراقيه سلمة و أبو نصر خزنه عن الناس للتكسب، فشكا الناس إلى الفراء، فاستدعى الوراقين ، فقالوا له، دعنا نعش به، فقال:قاربوهم تنفعوا، وتنتفعوا، فأبوا، فقال: سأريكم: سأملي الكتاب أتم شرحا، و أبسط قولا، فأملى في الحمد مائة ورقة، فجاء الوراقون إليه فقالوا:نحن نبلغ الناس ما يحبون، فننسخ كل عشرة أوراق بدرهم»[4]، و لم يعمل الفراء، و لا باعها، و إنما يفري الكلام، و شهد أنه

قال:« أموت و في نفسي من حتى شيء لأنها تجلب الحركات الثلاث »[5] .

1(): القفطي، انباه الرواة ، ج 04، ص 15 .

2( ): سيبويه، الكتاب، ج 01، ص 28 .

3 (): القفطي، أنباه الرواة ، ج 04 ، ص 19 .

4():ابن الأنباري، نزهة الألباب ، ص 81– 82.

5(): ابن العماد، شذرات الذهب ، ص 40 .

و كان أبرع الكوفيين في علمهم، لكن إذا لم يتحفظ لحن، و قال:« إن طباع أهل البدو الإعراب، و طباع أهل الضر اللّحن، فإذا تحفَّظت لم ألحن، و إذا

رجعت إلى الطبع لحنت، فاستحسن الرشيد قوله»[1] .

مات سنة سبع و مائتين، عن سبع و تين سنة بطرق مكة، قال سلمة بن عاصم:

دخلت عليه في مرضه، و قد زال عقله، و هو يقول:« إن نصبا فنصبا، و إن رفعا فرفعا»[2] .

و صنف له الكثير من المصنفات منها: «البهى»، و«اللّغات»، و«المصادر في القرآن»، و«الجمع و التثنية»، و «الفاخر»، و«آلة الكاتب»، و«النوادر»، و ذكر بروكلمان كتابين:«المقصور و الممدود»، و«الأيام و الليالي»[3] .

05 ــ ثعلب :و هو« أحمد بن يحي بن زيد بن سيّار، أبو العباس النحوي الشيباني ملاهم المعروف بـ : "ثعلب"، و لد ببغداد سنة 200هـ ، و انصرف إلى دراسة اللغة في سن مبكر، فتعلم الكتابة، و حفظ القرآن، و شدا بعض الأشعار، و لم يكن قد تجاوز سن التاسعة»[4]، فلم يغنه ذلك بل أراد أكثر« فصرف كل جهده في التزود باللغة و النحو في سن السادسة عشرة »[5]، و من هذا الزاد الوفير بإضافة إلى تحليل و التصنيف استطاع« نظر في حدود الفراء و له ثمان عشرة سنة، و صنف كتبا و له ثلاث و عشرون سنة، و لما بلغ الخمس و عشرين لم

1(): الزبيدي، طبقات النحويين و اللغويين، ص 131 .

2(): السيوطي، بغية الوعاة ، ص 22 .

3 () : كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، ج 02، ص 200 .

4() : ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات ، ص 194 .

5( ): ابن قنفذ القسنطيني، المصدر نفسه، ص 194 :

يبقى له من كتب الفراء إلا و قد حفظه»[1]، و بقي متشوقا شغوفا في طلب العلم حيث لأنه حين « أتقن النحو اهتم برواية الشعر القديم، و معرفة بالمعاني، و الغريب، فأخذ عن ابن الأعرابي، و علي بن المغيرة الأثرم، و سلمة بن عاصم، و محمد ابن سلام الجمحي، و الزبير بن بكار، و أبي الحسن أحمد بن إبراهيم، و أخذ عنه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، و إبراهيم ابن عرفة، و محمد بن بشار الأنباري، و أبو عمر الزّاهد، و إبراهيم الحربيّ»[2]، و لم يكتفي بما علمه من نحو، رواية أشعار، بل زاد ذلك من القراءات و رواية الحديث، و الفقه، حيث كان يتردد حلقات المحدثين خاصة حلقة عبيد الله بن عمر القواريري في هذا قال:« سمعت من عبيد الله مائة ألف حديث»[3]، و حلقات أحمد ابن حنبل، و و ذلك في قوله:« أحببت أن أرى أحمد بن حنبل فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال لي: فيم تنظر؟، قلت: في النحو و العربية، فقال له:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهرَ يَوْمًا فَلاَ تَقُلْ خَلَوْتَ، وَ لَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ [4] .

و من هنا نقول أنه حنبليّ المذهب قد قرأ كتاب سيبويه معتمدا على ذكائه و فطنته، و على ما كسبه من علم في المجالس التعليمية التي كان يحظرها، و ذلك في رواية ذكرها الزبيدي: أن إسماعيل بن إسحاق قال لأبي علي: «يا أبا عليّ، كيف صار محمد بن يزيد النحوي أعلم بكتاب سيبويه من أحمد بن يحي ثعلب؟، فقال لأن محمد بن يزيد قرأه على العلماء، و أحمد بن يحي قرأه على نفسه»[5]، و كان ثقة صدوقا حافظا للغة، و كان يدرس النحو على مذهب الكوفيين

---

1):) . الزبيدي، طبقات النحويين و الغويين ، ص 148

2):) . ابن الأنباري، نزهة الألباب ، ص 174

3( ): . القفطي،أنباه الرواة ، ج 01 ، ص 174

4( ): . القاضي أبو الحسين، طبقات الحنابلة ، ج 01، ص 211

5):)الزبيدي،طبقات النحويين و الغويين ، ص .142

، و لم يكن يعلم المذهب البصري، فإذا سئل قال في جوابه:« قال الفراء، و قال الكسائي ، فإذا سئل

عن الحجة و الحقيقة "في ذلك لم يغرق في النظر"[1]»[2]، و من هذا نجده يعطي جوابا عن أي سؤال دون إعطاء حجة، فلا التعمق في القياس برغم من نباهته و فطنته، و لا يبحث في العلل، فما الحاجة المتعلم بمعرفة العلل الثواني حين يعرف الحكم ؟ .

و من آراءه :« راكب الناقة طَلِيحان »، و تقديره:« راكب الناقة ، و الناقة طليحان »،إلا أنه حذف المعطوف لتقدم ذكر الناقة، و الشيء إذا تقدم دل على ما هو مثله، مثل قوله (فَقُلْنَا اضْرب بِعَصَاك الْحجر فانفجرت منه)، إذ التقدير:« فضرب فانفجرت»[3] .

و في قول ابن مجاهد المصري: قال ثعلب: «اشتغل أهل القرآن و الحديث و الفقه بذلك ففازوا، و اشتغلت بزيدٍ و عمرو، ليت شعري ما يكون "حظّي"[4] في الآخرة، فقال ابن مجاهد: رأيت النبي ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ في المنام ، فقال لي:«أقرئ أبا العباس ثعلب عنّي السلام، و قل له: أنت صاحب العلم المستطيل » [5].

و سبب وفاته :«أنه كان أصم، فخرج من الجامع بعد صلاة العصر، و في يده

1( ): «في أنباه الرواة ص 179 « لم يأتي بشيء . .

2(): الزبيدي، المصدر سابق، ص 141 :

3(): ابن الأنباري، نزهة الألباب ، ص 204 :

4() : «في نزهة الألباب ص 175، و أنباه الرواة ص 179:« حالي: . .

5(): ابن العماد، شذرات الذهب، ج 03، ص 384 : .

كتاب ينظر إليه و هو يمشي، فصدمته فرس، فمات في اليوم الثاني»[1]، «ليلة السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة، سنة إحدى و تسعين و مائتين، في خلافة المكتفي أبي محمد علي بن المعتضد، و دفن في مقبرة باب الشام ببغداد»[2].

و من مصنفاته :«كتاب الفصيح»، و «كتاب القراءات»، و «كتاب إعراب القرآن»، إلا أن مصنفاته نسيها الزمن ،« فلم يصلنا منها إلا كتابه «المجالس»، و هو كتاب يشمل النحو، و اللغة، و الأخبار، و معاني القرآن، و الأشعار الغريبة و الشاذة و الأمثال، و الأقوال المأثورة، و كتابه الفصيح و قد طبع مع شرح للهروي »[3] .

الملاحظ لما ورد هنا أن علماء المدرسة الكوفية و إن اتجهوا إلى الدراسات اللغوية إلا أن كل ما سمعت أنها من آثارهم معظمها كتب أدبية، فبقيت ميولهم على ما اشتهروا به، من رواية أخبار، و أهل فقه، إلا أن الزمن نساها فضاعت مما ضاع من علم العرب .

1(): ابن عماد، المصدر نفسه،ج 03 ، ص 384 .

2(): ابن الأنباري، نزهة الألباب، ص 205 .

3(): شوقي ضيف ، المدارس النحوية، ص 226 .

المبحث الثاني

01 ــ منهج المدرسة الكوفية :

تيقن أهل الكوفة أن الرفعة، و المكانة العالية لا تؤتى من روايـة الشـعر، و نقـل الأخبار فقط، إنما بزيادة على ذلك بمعرفة طرق تأليف الكلام، و نظـم الاسـتعمال، فأرادوا مساهمة البصـريين فـي صـنعتهم، بعـد أن أخـذوه منهـم، لكـن شـق عليهـم إتباعهم فيما قالوا، فأرادوا صنع نحو يباين نحو البصرة، لما بينهما مـن ضـغائن،

حالت بين اتفاقهما على أمر جامع، حتى و إن كانت أسباب هذه الضغائن خارجة عن مجال البحث اللغوي، كواقعة «الجمل»، فقد أثرت هذه الحادثة على الدرس العربي القديم أيما التأثير، فالكوفة معروفة بعلويتها، و البصرة بعثمانيتها، و ازدادت الخلافات بتعاقب الأيام، من ذلك قول الشعبيّ على لسان الأعشى همدان[1] :

نَحْن سُقناهمْ إليكم عَنْوةً و جمعنا أمرَكم بعد فشل

. فإذا فاخرتمـــــــونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل

إلى أن تحولت الخلافة إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية التي ناصرت البصرة، فاحتملت الكوفة قسوة الدولة، و صرامة رجالها، إلى أن قامت على أنقاضها الدولة العباسية، التي وجدت لها فيها متنفسا بعد ما شاهدته من نظيرتها الأموية، فعزت الكوفة بعد ذل، و أفل نجم البصرة بعد تألق، و هذه الأسباب كانت بمثابة الحاجز أمام الوفاق بينهما، برغم من أن هذه العنصرية و أثارها السلبية، إلا أننا نجد أنها كانت المحرك الأساسي في توسع البحوث اللغوية، و تطور النحو، مع أننا أكدنا أن النحو الكوفي ليس وليد الكوفة الأصليّ، إنما هو مأثور عن البصرة، فمن الحتميّ أن نجد بعض آراء المذهب البصري متجسدة في المذهب الكوفي، إلا أنهم استطاعوا الاستقلال بمذهب خاص بهم، له طوابعه، و خصائصه التي تميزه عن المذهب البصري أيما

تميز، و يمكن تلخيص هذه المميزات فيما يلي :

_01 ـــ التوسع في الرواية : اعتمد الكوفيون في مذهبهم على التحرر من القيود التي وضعها البصريون، فتوسعوا في النقل عن الأعراب، و إن كانوا ممن خالطوا العجم، و تأثروا بطباع أهل الحضر، فلم يتثبتوا من صحة الرواية، و جوزوا الأخذ بالشاذ، حيث «اعتمدوا إلى اهتمام بواقع الاستعمال اللغوي، و الموجه عناية خاصة إلى فروق اللغة، وتعبيرات أهل البادية في أشد الجاهلية و نحوها، و ما يتطلبه سبر أغوار ذلك من تتبع و استقراء عمليين»، على حد قول "بروكلمان"[2] .

أما البصريون فقد تشددوا في الأخذ عن الأعراب إلا من أنسوا فيهم الفصاحة و سلمت ألسنتهم من شوائب التحضر و آفاته، فاختيروا أفصح

( ). أبو افرج الأصفهاني، الأغاني،ج 06، ص 55 :1

) . كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، ج 02، ص 196 :(2

القبائل، و أجودها في العربية ، و هم سكان بوادي نجد،و الحجاز، و تهامة من قيس، و تميم، و أسد، و هم الذين أكثر الأخذ عنهم، ثم هذيل، وبعض كنانة، و بعض طيّ، فارتحلوا إليها يتلقون عن أعرابها، فتحروا في الأخذ من العربيّ في سلامة لغته، و سليقته، و في صدق الراوي، و يرفضون الشاهد المقطوع أو المرسل[1]،« لكن وجد في كتاب سيبويه خمسين بيتا مجهولة القائل، و ألف بيت معروف القائل، و نجد "سيبويه" كان يقصد "الخليل" و غيره، أما "يونس بن حبيب"، قال: أنه يقصد "أبو زيد"، فلم يسميه لأنه حيّ» [2]، و لم ينكروا على سيبويه ذلك، فلو ردوها، لردت خمسين مسألة في النحو، كل هذه الشروط مكنت البصرة من جمع مدونة عربية فصيحة، و هذا لا يعني أن الكوفيين لم يرتحلوا، فنجد أن "الكسائي" « الذي خرج من عند الخليل و قد أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في كتابة عن العرب سوى ما حفظ»[3]، و لكن قيل:« أنه لم يقم بالبدو غير أربعين يوما»[4]، و « أنه أخذ عن أعراب حطمة، فأفسد ما أخذه عن البصريين[5]» وهم من الأعراب الذين لا يستشهد بلغتهم، فعاب عليه "أبو محمد اليزيديّ" ، فقال:

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول.

. [6]فجاء أقوام يقيسونه على لغى أشياخ قطر بل

و نجد أن شاهد أخر يرجح كفة الكوفيين في نسبة الأشعار إلى الأوراق المطمورة من عهد النعمان بن المنذر، و ذلك في ما نقله ابن جنيّ عن حماد الراوية الكوفي، قال :« أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج (الكراريس)، ثم دفنها تحت قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي قيل له إن تخت القصر كنزا، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار، فمن ثمة أهل الكوفة

1(): السيوطي ، المزهر، مج 01، ص 103 .

2): 33 :(السيوطي، الإقتراح، ص) .

3): 163 :(السيوطي، بغية الوعاة ، ج 02، ص) .

4): 199 :(سعيد الأفغاني ، في أصول النحو، ص).

5): 02،274 :(القفطي، انباه الرواة ، ج) .

6): 163 :(السيوطي، بغية الوعاة، ج 02، ص).

أعلم بالشعر من أهل البصرة»[1]، إلا أن النحل، و الافتعال استفحلا، فلتبس الأمر على الناس و أسندت الأشعار إلى غير قائلها، لكن حمادا يطعن في نحله و لا في لغته .

الاتساع في القياس : تشدد البصريون في القياس كما تشددوا في السماع ، فصحة القياس عند البصريين الكثرة، وإلا فعلى القليل، و فعلى النادر، فيعتدون بالكثير، و القليل يحفظ و لا يقاس عليه، ، لكنهم لم يحددوا ما معنى الكثرة أو القليل، أو النادر بالضبط، و قد ينكرونه إن اعتبروه ضرورة رغبةً منهم في الوصول بالنحو إلى مرتبة العلم المضبوط، و استنتاج قواعد سليمة صحيحة لا يفسدها شذوذ، فأضاعوا الكثير من كلام العرب بهذا، أما الكوفيون فقد كان لهم موقف آخر،« فليس من الصواب إهدار نص اعتبروه فصيحا، و خاصة أن العرب مازالوا على سليقتهم، فلم يربطوا الفصاحة بالجغرافيا»[2]، و هذا ما فعله الدكتور مهدي المخزومي الذي يرى أن التفرقة بين القبائل خطأ منهجي، و ذلك بقوله: « و لا نرى هذا إلا لغو الكلام، إنهم يجهلون أن اللغة سليقة و طبيعة، و يجهلون أن صاحب اللغة لا يغلط في لغته، لأنها جزء من حياته، التي فطر عليها و عادة من عاداته التي نشأ عليها، و إذا كان الجاهليون يغلطون، و المخضرمون يغلطون، و الإسلاميون يغلطون، فعلى من يعتمد النحاة؟ و بما يحتج؟، و من أين جاءوا بهذه الأصول، و هذه القواعد التي استنبطوها[3]»، و أيضا إذا سلمنا أن الفصاحة موجودة عند القبائل المنعزلة،« لكانت لغة قريش أبعد اللغات عن الفصاحة،(...) و هم أهل تجارة، فلما التفريق بين قريش، و القبائل المشابهة لها؟»[4].

لكن لا ننكر ما للاختلاط من تأثير في النطق الكلام، و حتى في التراكيب النحوية، أما « قريش فقد قيل أنها تتخير من الألفاظ أجودها، و من عبارات أحسنها»[5]، أو لربما هو وازع ديني لمكانة قريش عند العرب، ومن هذا اشتهر

---

1): ابن جنيّ، الخصائص، ج 01، ص 387 .(

2(): تمام حسان، الأصول، ص 40 .

3(): أحمد كختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 53 .

4(): أحمد مختار، المرجع نفسه، ص 53

5() : ابن فارس، الصاحبي، ص 55 .

البصريون بأنهم أهل سماع، و اشتهر الكوفيون أنهم أهل قياس، و في هذا يقول الكسائي[1]:

إنما النحو قياس يتبع و به في كل أمر ينتفع .

مصطلحات الكوفيين : خالف الكوفيون البصريين في كل ما يتصل بالدرس النحويّ، فاستعملوا مصطلحات غير التي استعملها البصريون، استقلوا بها من قيد الإتباع،« إلا أنه نسيّ الكثير منها مع مرور الوقت، وتسرب بعضها الآخر إلى شروح المتأخرين»[2]، و وصفت هذه المصطلحات بعدم الشمول و السعة، و الدقة، و ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي إلى أن « المصطلح الواحد عند الكوفيين قد يكون لمواد مختلفة، ثم إن مصطلحاتهم ليست شيئاً يجهله البصريون، فقد نجد شيئاً منه في استعمال البصريين»[3]،و في هذا أيضا قول ابن السراج: « أن الأشياء التي يسميها البصريون "ظروفا"، يسميها الكسائي "صفة"، و الفراء يسميها "محال"، و يخلطون الأسماء بالحروف، فيقلون: حروف الخفض:" أمام، و قدام، وخلف، و قبل، و بعد، و راء"، ممدودات، و مع، عن، و في، و على، و من ، و إلى، و وسَطَ، و وسْدَ، و مثل، و مِثل،و مَثَلَ، و سوى، و سواء ممدودة(...) فيخلطون الحروف بالأسماء، و الشاذ بالشائع»[4]،

و لا نجد ردا على هذا الرأي خيراً من قول شوقي ضيف:« لعلهم كانوا يقصدون قصدا إلى أن تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها ، على الرغم من أنهم من تلمذة أئمتهم الأولين على أيدي البصريين و عكفوا على كتاب سيبويه ينهلون منه، و يَعْلَوْن، فحاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات تغاير مصطلحات البصريين، و النفوذ إلى آراء خاصة بهم»[5]، و إن اتفقوا في بعض المصطلحات، فكما كان يسمى الهمزة ألفاً، فعل الكسائي كذلك، و كذلك كان الشأن مع «الفراء فقد سمى العطف بالحروف، عطف النسق، تماما كما فعل

1(): السيوطي، بغية الوعاة، ج 02، ص 164 .

2(): تمام حسان، الأصول، ص 40 .

3(): إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية ص 109 .

4( ): ابن السراج، الأصول في النحو، ج 01 ، ص 204 ــ 205 .

5(): شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 165 .

سيبويه»[1]، إلا أن هذا الخلاف عاد بالفائدة على النحو، حيث ارتسمت حدوده، و مصطلحاته بالشكل المعروف الآن، و من مصطلحات التي استقل الكوفيون بها:

01 ــ المكنى و الكناية : و تعني " الضمير" و "المضمر" عند البصريين، و كان الفراء أول من استعمله تعليقه على قوله تعالى: (﴿ ﴾)،[آل عمران/119].

«العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بـ "هذا"، و "هاذان"، و"هؤلاء"، فرقوا بين "ها"، و "ذا"، و جعلوا مكنى بينهما، فيقولون: أين أنت، فيقول: ها أنذا، و لا يقول: هذا أنا»[2] .

02 ــ شبه المفعول : و هو ما يطلق على المفعول به، و هذا ما ذكره الشيخ خالد ابن عبد الله الأزهري «أن الكوفيين لا يسمى عندهم مفعولا إلا المفعول به، و يقال في غيره: مشبه بالفعل»[3]، و و نجد هذا الكلام عند عبد الكريم أحمد الأسعد: «لا يسمي غير البصريين شيئا باسم " المفعول" إلا المفعول به خاصة، و في غيره: مشبه بالمفعول؛ أي مشبه بالمفعول به»[4]، أما "المفعول المطلق، و المفعول فيه، و المفعول لأجله، و المفعول معه"، فهي مصطلحات بصرية .

03 ــ حروف المُثُل : تكون "هذا"، "مثالا"، و تكون "تقريبا"، فإذا كانت مثالا، قلت: هذا زيد، هذا الشخص شخص زيد، و إن شئت قلت:"هذا الشخص كزيد"و جاء في لسان العرب: « حروف المثل هي ما يسميها أهل البصرة حروف الإشارة، و الأسماء المبهمة» [5]، و اختصوا مصطلح" التقريب"باسم الإشارة" هذا"، في مثل «هذا زيد قائما»، و جعلوه من أخوات "كان" أي؛ أنه يليها اسم و خبر منصوب،« بينما يعرب البصريون "قائما" حالاً، و يجعلون ما قبلها مبتدأ و خبر»[6] .

1( ): عوض أحمد القزوي، المصطلح النحوي، ص 154 .

2(): إبراهيمي السامرائي، المدارس النحوية، ص 107 .

3(): خالد بن الأزهري، شرح التصريح، ج 01، ص 490 .

4(): عبد الكريم محمد الأسعد، الحاشية العصرية على شرح شذوذ الذهب،ج 01، ص 598 .

5(): ابن منظور ، لسان العرب، مج 03، ج 17 ، ص 1473 .

04 ــ ألقاب الإعراب و البناء: لقبت العلامات الإعرابية عند الكوفيين بـ: (الضم، و الفتح، و الخفض)، و يقابلها عند البصريين (الرفع، و النصب، و الجر)[1]، و هي حركات الإعراب، و ما استعمله الكوفيون للإعراب و البناء، فلم يفرقوا بين ما هو للبناء، و ما هو لإعراب، و أما سبويه فقد قال:«الرفع و الجر و النصب و الجزم لحروف الإعراب(...)، و أما الفتح و الكسرو الضم و الوقف فللأسماء غير "المتمكنة"[2]»[3]، و استعمل المبرد مصطلح " الخفض"[4] .

05 ــ الخلاف : عامل معنوي عند الكوفيين: و هذا في قولهم:« إن الظرف ينتصب على الخلاف إذا وقع خبراً للمبتدأ، نحو:"زيد أمامك و عمرو وراءك"، و ذهب البصريون أنه منصوب بفعل مقدر، و تقدير: زيد مستقر أمامك، و عمرو مستقر وراءك»[5].

ــ وقالوا أيضا:« نصب المفعول معه بالخلاف، نحو:" استوى الماءُ، و الخشبةَ"،

و ذهب البصريون: أنه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو»[6].

06 ــــ الفعل الواقع و غير الواقع : و يقابلهما "المتعدي، و اللازم عند البصريين"[7]، و جاء في "لسان العرب":« و أهل الكوفة يسمون الفعل المتعدي واقعا»[8].غير أننا نجد ثعلب يستعمل " المتعدي" مع استعماله للمصطلح

6(): 166 ص، النحوية المدارس، ضيف شوقي .

1( ): 173 و ،117 و 81 ص، العربية اللغة نحو، خلف عادل.

2( ): المبنية الأسماء يعني .

3( ): 15 و ،13 ص ،01 ج ، الكتاب، سيبويه .

4( ): 83 ص ،03 ج ، المقتضب، المبرد .

5( ): 202 ص ، الخلاف مسائل في الإنصاف، الأنباري ابن .

6( ): 206 ص ، سابق مصدر، الأنباري ابن .

7( ): 119 ص ، النحوية المدارس، السامرائي إبراهيم .

الكوفي[1]، كما نجد "سيبويه"[2]، و "المبرد"[3] يستعملون المصطلح الكوفي مع استعمالهم مصطلحهم الخاص.

07 ـ الفعل التام و الناقص **:** و قسم الكوفيون الفعل المتعدي إلى : فعل يتعدى لمفعول واحد، و سموه الفعل "التام"، نحو : قَتَلَ، و أحْسَنَ ؛لأن معناه يتم بذكر مفعوله، و أما الذي يتعدى إلى أكثر من مفعول، مثل: ظنّ، و حسب و أخواتها ، فإنه يدعوه فعلاً "ناقصاً"،و ذلك في قوله :« و العرب إذا أوقعت فعل شيء على نفسه فقد كُنَى فيه عن الاسم، قالوا في الأفعال التامة غير ما يقولون في الأفعال الناقصة، فيقال: قتلت نفسك، و أحسنت إلى نفسك(...) فإذا كان الفعل ناقصا، مثل : حسبت، و ظننت، قالوا: أظنني خارجا، و أحسبني خارجا[4]».

08 ـ الترجمة و التبيين و التكرير **:** مصطلحات كوفية لما يقابلها عند البصريين بدلا، و جاء في التصريح :« هذه التسمية بصرية، و عن الكوفيين، قال الأخفش: يسمونه الترجمة، و التبيين، و قال ابن كيسان:« يسمونه التكرير،، و الغرض منه، أن يذكر الاسم مقصودا بالنسبة بعد التوطئة لذكره بالتصريح بتلك النسبة إلى ما قبله لإفادة توكيد الحكم، و تقريره ، و لذلك يقولون : البدل في حكم تكرير العامل»[5] .

09 ــ النعت **:** أطلق سيبويه هذا المصطلح على "عطف البيان"[6]، و نجده أيضا قد استعمل "الصفة، و الوصف كمرادفات له"[7]، و اتبعه المبرد فاستعمل "النعت و الصفة معا"[8]، إذن فالمصطلحات الثلاثة عند البصريين هي لشيء واحد، إلا أن بعض النحويين يرى غير ذلك، ففي هذا المقام يقول ابن يعيش:«الصفة، و النعت واحد، و

8( ): 4897 ص ،54 ج ،06 مج ، العرب لسان ، منظور ابن .

1( ): 119 ص النحوية، المدارس السامرائي، إبراهيم .

2): 102 ص ،01 ج ، الكتاب سبويه،).

3() : 147 ص ،01 ج ، المقتضب المبرد، .

4(): 120 ص النحوية، المدارس السامرائي إبراهيم .

5(): 190 ص التوضيح، على التصريح شرح الأزهاري، خالد .

6(): 11 ص ،02 ج الكتاب، سيبويه، .

7(): 02،11 ج نفسه، المصدر سيبويه، .

قد ذهب بعضهم إلى أن النعت يكون بالحلية، نحو؛ طويل، و قصير، والصفة تكون بالأفعال، نحو ضارب، و خارج، فعلى هذا يقال للبارئ سبحانه موصوف، و لا يقال له منعوت، و على الأول هو موصوف، و منعوت»[9] .

و ذكر ابن فارس عن الخليل:«أن النعت لا يكون إلا في المحمود،« و هي لازمة، و ذلك في تعليقه عن الآية (و عصى آدم ربه فغوى)، فلا نقول: آدم عاصٍ غاوٍ» ، و أن الوصف قد يكون فيه، و في غيره، و على هذا الوجه تجري أسماء اللهـ جلّ و عز، لأنه المحمود المشكور المثنى عليه بكل لسان»[5]

و« لما رأى الكوفيون عدم استقرار هذا المصطلح اكتفوا بالنعت ليدلوا به على الصفة»[6] .

و نجد أن شوقي ضيف يرى أن أول من اصطلح على تسمية النعت باسمه، هو الفراء[7]، إلا أن عوض أحمد القوزي يرى خلاف ذلك، حيث يذهب أن« المصطلح، و إن شاع على أيدي الكوفيين، إلا أنهم متبعون لا مبتدعون»[8] .

و الحق أن الكوفيون ميزوا بين معاني المصطلح، فلم يستعملوها على الشيء الواحد، إلا أنهم وقعوا في شرك تعدد المصطلحات لشيء الواحد، كالترجمة، و التبيين، و التكرير، و المردود فهي تطلق كلها على البدل، و من هذا نرى أن الكوفيين خالفوا البصريين، إن كان السبب لمجرد الاختلاف، لكن ما يجب ذكره أنه قد يستعمل أحد النحاة مصطلح المدرسة الأخرى، و إن كان يخالفها، و هذا ما يدل على نحاتنا القدامى قد يأخذون عن بعضهم البعض إن آنسوا في غيرهم ما ليس عندهم من علم، و هي من أعظم سمات العلماء، نسأل اللهـ لهم المغفرة بما قدموا من خير باق بقاء إلى أن يرث الله السموات و الأرض .

8(): المبرد، المقتضب، ج 04، ص 166 .

9(): ابن يعيش، شرح المفصل، ج 03،47 .

5(): ابن فارس، الصاحبي، ص 265، 89 .

6(): عوض أحمد القوزي، المصطلح النحوي، ص 166 .

7(): شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 202 .

8(): عوص أحمد القوزي، المرجع السابق، ص 166 .

الفصل الأول

I. الأساس اللغوي الأدبي للفكر النحوي الكوفي :

سلكت الكوفة طريقا مغايرا في دراسة النحو على تعظيم لما يرد عن كلام العرب، و اتساع في القياس، و ربما هذا راجع للمنطلقات الفكرية التي أنشأت عليها

مدرسة، مما مكنها أن تصير مدرسة مستقلة عن المدرسة البصرية المتشددة، فهل انتهجت هذا طريق لمجرد مخالفة البصريين لاكتساب الرفعة و المكانة السامية عند الولاة؟، أم أن لها أسس اعتمدت عليها حالت بين اتفاق المدرسة مع قرينتها؟، و الجواب عن التساؤل الأول: فأهل الكوفة أهل فقه، و حديث، إذ هم ليسوا بحاجة لما يزيد من رفعتهم، أما الجواب التساؤل الثاني فهو ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل ـــ بإذن الله ـــ لعله سهم بالقليل من معرفة الأسباب الداعية للخلاف في الدراسات اللغوية العربية القديمة، بالرغم من وحدة المدونة المعتمد عليها .

<u>الأساس الجغرافي للفكر النحوي الكوفي :</u>

العراق جنة الله في الأرض لما فيها من خصب، و مياه جارية، و حقول و بساتين النخيل، و اعتدال هوائها، فهي مهد الحضارات ـــ البابلية و الآشورية ـــ و تعد بوابة لأرض الشام من الجنوب و بلاد فارس من الشرق و شبه جزيرة العرب من الغرب، فكانت بذلك محل تلاقح الثقافات، إلى أن أشرقت عليها شمس الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ حين أمر بتمصير بلاد ليس بينها و بين دار الخلافة فاصل، فمصر المسلمون البصرة سنة 14ه[1]، بحسب أكثر الروايات، ثم الكوفة من بعدها بستة أشهر كما ذكر "ياقوت"في كتاب "معجم البلدان"[2]، و مع الوقت ازدهر البلدان، و تطلعت إليهما الأنظار لما فيهما من علم وتجارة ، فارتحل إليهما الناس من شعراء و رواة و طلاب العلم من مختلف القبائل، فكونوا حاضرة لم يشهد لها مثيل متعددة الأجناس و الأعراق ، و استأثرتا بالفضل على باقي مدن العراق الأخرى، واقترنا اسم البلدين معا، حتى إذا قيل العراقان فالمقصود البصرة و الكوفة.

يشهد التاريخ أن العراق بلد علم و فقه، و حرب و سلم،، و كانت شاهدة على حروب الأحزاب السياسية في عصر الدولة الأموية، و شهدت أيضا نشأة العلوم

1(): 590 ص، 03 ج ، تاريخ الطبري، الطبري .

2(): 95 /04 ،17ه سنة قيل و البلدان، معجم الحموي، ياقوت .

العربية، إذ نشأ النحو فيها، و تربى بين أحضان العراقيين، و مركز مشايخ الفقه و الدين و حفظة القرآن و قراءه، فحظيت بأربعة من القراء السبع، فاحتوت أرضها علوم شتى عربية ممزوجة بعلوم الحضارات الأخرى كالفارسية و الهندية و الرومية لمجاورتها لهن، فاجتمع فيها خير عطاء الطبيعة و خير البشر، بهذا كانت مهدا لدولة تركت أثرا بارزا في تاريخ الأمة الإسلامية و هي الدولة العباسية، دولة الثقافة و الأدب و العلوم الإسلامية .

إلا أن كل من بلدين له خصائص و مميزات طبعت على ميول أهلها، حيث تقع البصرة في جنوب شرق العراق، عند مصب نهر الدجلة و مصب نهر الفرات في الخليج العربي، فهي على طرف البادية بين أقصى أرض العرب و بداية أرض الفرس، و هي المحطة التي ساعدت على فتح بلاد فارس، و قد قيل في البصرة الكثير، فقد سميت بـــ : " الرعناء" ، قال الفرزدق:

لَوْلاَ أَبُو مَالك المَرْجُوْ ما كانت البَصْرَةُ الرَعْنَاءُ لِي وَطَنَا[1] .

و ذلك لاختلاف هوائها في اليوم الواحد حيث يلبسون القمص مرة و المبطنات مرة.

و قال فيه أمير المؤمنين عليّ ـــ كرم الله وجهه ـــ حين وصل المربد بعد خروجه منها: « الحمد لله الذي أخرجني من شر البقاع ترابا و أسرعها خرابا »[2] .

ولعل عليّ في قوله هذا ـــ و الله أعلم ـــ يقصد الأرض البصرة لا قاطنيها، فهي أرض سبخة منخفضة عن الأراضي المحيطة بها، قريبة من الماء سهلة الغرق، فلو كان يذم الناس فيها لما قال في موضع آخر :« سمعت رسول الله ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ يقول: تفتح أرضا يقال لها البصرة، أقوم أرض الله قبلة،

1(): ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 01، ص 437 .

2(): ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج 01، 436 .

قارئها أقرء الناس و عابدها أعبد الناس، و عالمها أعلم الناس، و متصدقها أعظم الناس صدقتا »[3] .

وهي أقرب مدن العراق إلى موطن قبائل العربية الخلص وسط جزيرة العرب، من أهل الأعراب، كبوادي نجد و اليمامة، و التي لم يمتد إليها التأثير الأجنبي فلم تلوث قريحتهم بآفة اللحن، فهم أهل« يضرب المثل بفصاحتهم و خلوص لغتهم، و ما لهم من بارع اللفظ و سري المخرج و العارضة الشديدة و اللسان السليط، ثم ما يحمل عليها من طبع جاف مُتوقِحْ غير باكئ، و لا "منزور"[3]، و فطرة سليمة لا تنازع إلى غير الصواب و لا يصرفها عنه صارف من سوء العادة أو الضعفة الحضرية »[4]، و عليه نجد هؤلاء البدوا قد عرفوا بالعروبـــــة و التعلق بأساليب الفصاحة الصافية، و نفور من السقط في الكلام، الخلط في المعاني، و فظلوا ما عهدت العرب عليه من غلظة و جفوة، و التمرد و رفض الخضوع و الإذعان، و حب النفس و الاعتداد بالذات و المفاخرة بالأصل و النسب، مما يسر على البصريين عملية جمع اللغة، فلم يتكبدوا عناء السفر إلى البوادي لكن بعد تفشي اللحن اضطروا إلى الخروج إلى القبائل للبحث عن مادة لغوية قوية .

فارتحلوا إليها لمشافهة أهلها و الأخذ عنهم بعد فساد ألسنة أهل الحضر لاختلاطهم بالأعاجم، و ممن رحلوا إلى البادية: يونس بن حبيب (ت 183ه)، و الخليل بن أحمد (ت 175ه)، أبو زيد الأنصاري(ت 215ه)، و استمروا في الارتحال إلى أواخر القران الرابع إلى أن فسدت سلائق ، فتوقفت الرواية و اكتفى النحاة بما خلفه الأوائل في كتبهم، و نتيجة ذلك كان مصدر البصريين في الأخذ عن العرب مصدرا صافيا نقيا، فكانت المادة المسموعة التي استندوا عليها في استقراءهم صحيحة مطردة، و كان كل ما يخرج

3(): ياقوت الحموي مصدر نفسه، ج 01، ص 436 .

3(): المنزور: الإلحاح في السؤال .

4(): مصطفى صادق الرفاعي، تاريخ آداب العرب، ج 01، ص 285 .

عن قواعدهم صيروه ضمن الضرورات أو الشاذ الذي يحفظ و لا يقاس عليه .

و أما مدينة الكوفة فهي تقع على مقربة من مدينة الحيرة، مصرت بعد البصرة بستة أشهر كما ذكر سابقا، فنزل بها العرب من "أسد و تميم"[1]و قبائل نزار* و أكثرهم من أهل اليمن، و اليمن لا يحتج بأهلها في اللغة لمخالطتهم أهل الحبشة و الفرس، و لم يطل الزمن حتى ازدهرت و تطورت ذلك لموقعها التجاريّ الممتاز، فهي حلقة وصل بين الهند و الشام و الفرس، فكانت بذلك أكثر تأثرا لكثرة اتصالها بهم، و من هنا تأثر أهل الكوفة بأهل الفرس في طباعهم فكانوا ميالين للين التساهل، و هو ما جعل مذهبهم أكثر تساهلا في أحكامه، فيبنون قواعدهم على كل ما يسمعونه من الأعراب، بحجة أن هذا أعرابيّ، و لا حق لهم في تخطئته و رده و رفض الأخذ عنه، فهو من أصحاب اللغة،،« فاللغات على اختلافاها كلها حجة، و إن قلت إحداهما و كثرت الأخرى أخذت بأوسعهما رواية و أقواهما قياسا، و مع ذلك لو استعمله إنسان لم يكن مخطأ لكلام العرب »[2]، فيقيسون على المثال الواحد و يبوبون له، و ما يدرينا أن هذا المثال الواحد لا يستعمل في قبائل أخرى إلا أنه رفض فضاع، أوليس هذا قول لأبي عمر بن العلاء:« ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله، و لو جاءكم وافرا لجاءكم علم و شعر كثير»[3]، فالضياع كان مصير الكثير من علم العرب، فمن المسؤول عن ذلك؟ .

و بإضافة إلى ذلك قالوا أن« صحراء السماوة الشاسعة عائقا أمام علماء الكوفة فلم تكن رحلاتهم كرحلات البصريين، و لم يرتحل الكسائي إلا بعدما أرشده الخليل»[4]، و كأن هذه الصحراء قد تمنع الكوفيين عن الترحال لو لم يطمئنوا

1():حين نزل البصرة قال له رجل من الأعراب في حلقة الخليل: " تركت أسد، و تميما و عندهما الفصاحة، و جئت البصرة" ، و هما من أفصح القبائل ، نزهة الألباب، ص 59 .* :نزار بن مَعَدْ : جدّ قبائل عرب الشمال من مصر و ربيعة و إياد « سوق عكاظ و مواسم الحج، ص 62 »

2(): 257 ، 01 مج السيوطي، المزهر، .

3(): 386 ،01 ج ابن جني، الخصائص، .

4(): 199 ص سعيد الأفغاني، في أصول النحو، .

للقبائل المحاذية لهم، فنقول: لما لم تمنع الترحال إلى البصرة و الأخذ علمائها و التتلمذ عليهم؟، هذا من جهة .

و من جهة أخرى كانت الكوفة مدينة دين و فقه كما قلنا، فقد كانت موطن الكثير من الصحابة و التابعي كعبد الله بن المسعود، و على بن أبي طالب ــ رضي الله عنهما ــ وحظيت بأربعة قراءٍ من أصل سبعة، و مذهبٍ فقهي ــ الحنفي ــ و هو أحد المذاهب الأربع الكبرى في الإسلام، و المعروف على منهج هذه الدراسات الدقة في الطرح و الحرص في تثبت الرواية، فهي قضايا دينية عقائدية و أي لبس يؤدي بصاحبه إلى الكفر، و قد وجدوا القرآن و هو كلام الله المعجز في تأليفه و قرء بعدة قراءات و هو أفصح كلام العرب، نحو: ([illegible]) طه [ثلاثة و ستون]، و هي قراءة متواترة، و القراءة سنة متبعة لا يمكن ردها و لابد من الاعتداد بها، و إذا كان القرآن يحتمل عدة قراءات، و هو أقوى المصادر الأخرى كالشعر و غيره، فكيف لا تحتمل اللغة عدة استعمالات ؟ .

و لربما كثرة انشغالهم بهذا النوع من الدراسات جعلهم يطبقون ذلك على النحو، و إن كان هذا المنهج مكنهم أن يكونوا فقهاء و قراء، فكيف به اليوم يكون نقمت على أصحابه في مجال اللغة ؟، فاختلاف قراءة القرآن دليل على تعدد اللغات، و لولا ذلك لما قالوا لغة قريش أفصح لغات العرب.

و أيضا تقع البصرة على مقربة من سوق المربد الشهير، الذي ينعقد في شهر شوال من كل سنة،« و تقدر المسافة بينه و بين البصرة حوالي ثلاثة أميال»[1]، و

1(): ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 05، ص 98 .

يعد أشهر أسواق العرب في الإسلام، و هو كسوق عكاظ في الجاهلية، وقال الأصمعي: «عكاظ نخلٌ في واد بينه و بين الطائف ليلة؛ " أي نحو أربعة و عشرين ميلا "[1]، و بينه وبين مكة ثلاث ليالي »[2]، و عكاظ هو اسم سوق من أسواق الجاهلية، كانت تجتمع فيه قبائل العرب، فضلا عن التجارة، فكانوا يتناشدون ما أحدث شعراؤهم من شعر، و هو سوق الإبل، ثم صار محلة سكنها الناس، وتحضره الأعراب من البوادي قصد التجارة، و تبادل المنافع مع البصريين، فيجتمع الحاضر و البادي، و كانت تنشأ به مفاخرات الشعراء و مجالس الخطباء، و من «هؤلاء الشعراء راعي الإبل، و الفرزدق، و جرير فكان لهما حلقة بأعلى المربد يجالسون فيها»[3]، فكان السوق محل التقاء علماء البصرة مع الأعراب و الرواة و نقلة الأخبار للأخذ عنهم و السماع اللغة من أفواه أصحابها، و فكان بذلك أخذهم صحيحا سليما من شواذ الكلام،

و ربما يرجع تشدد البصرة لسبب مفاده كونها تقع على الخليج العربي، أي أنها مدينة ساحلية مما جعل سهل اختلاط العرب بالعجم عن طريق الملاحة، فجعل البصريين يتحرون الدقة في السماع، حتى أنهم « يتحرجون في الأخذ عن الأعرابيّ إذا آنسوا فيه لينا و رقة »[4] ، و اشترطوا الصدق و الضبط في الراوي، و معرفة القائل*و الوثوق بعروبته، و قال مصطفى صادق الرافعي: أنهم « وضعوا له أقيسة فاسدة يمتحنونه بها ، فإذا فهم نبذوه ، بحجة أن العربيّ لا يفهم اللحن، مثل قولهم: ذهبت إلى أبو زيد، و رأيت أبي عمرو..»

1(): عرفان محمد حمّور، سوق عكاظ و مواسم الحج ، ص 20 .

2(): ياقوت الحموي، مصدر سابق،ج 04 ، ص 142 .

3(): الأصفهاني، الأغاني، ج 08، ص 29 .

4(): ابن جني، الخصائص، ج 02 ، ص 13 .

إن ما نقله مصطفى صادق الرافعي غير صحيح ا، فحديث ابن جنيّ الذي نستشهد به حين قال: « و لو تكلف متكلف نقضها لكان ذلك ممكنا، ألا ترى لو تكلف تصحيح فاء ميزان، و ميعاد، فقلت: موزان ، و موعاد(...) و كذلك لو نصبت الفاعل، و رفعت المفعول...»[1].

و بهذا القول يؤكد ابن جنيّ أن الأعرابيّ باستطاعته أن يلحن إن أراد ذلك وهو يفهمه، فالمعاني في الأنفس و الكلمات ما هي إلا وسيلة لتعبير عن تلك المعاني، و إنما القريحة لا تستسيغه و لا تتقبله ، و يمجه الذواق العربيّ، ومن ذلك ما رواه ابن الجني في:« سألته كيف تجمع: دُكَانًا ؟ فقال: دكاكين(...) قلت: فعثمان ؟، فقال :عثمانون، فقلت له: هلا قلت لأيضا عثامين ؟، قال : أيش عثامين !، أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته، و الله لا أقولها أبدا»[2]، فكره العربيّ اللحن ليس لعدم القدرة عليه، أو تقيده بعلل النحاة، و إنما هي عادة في الكلام تتبعوها،و طبع تتبعوه و سليقة أليفوها، محبة للعربية و تعظيمه لها .

فالبصريين هنا حكّموا العقل و المنطق على اللغة، فاهتموا بالقياس العلل، على حساب اللغة، فأخذوا ما يوافق قواعدهم وأهملوا ما دون ذلك من كلام العرب و أشعاره، فردوا الكثير من أخبار العرب لا لأنه غير عربي إنما لأنه لا يوافق القياسهم، و لا ندري أتقاس القواعد على كلام العرب ـــ فلا يمكن أن يرد أي شاهد ـــــ أم يقاس كلام العرب على قواعد النحاة، فنرى الكلام عند النحاة قسم في الاطراد و الشذوذ أربعة أضرب، وقد ذكرها ابن جني: « مطرد في القياس و الاستعمال جميعا، و مطرد في القياس شاذ في الاستعمال، نحو الماضي من : يدر، و يدع، و يضعف في الاستعمال مفعول "عسى" اسما صريحا، نحو: عسى زيد

5*: في كتاب سبويه خمسين بيتا لا يعرف قائلها، و ذكر سعيد الأفغاني في الهامش : و مع هذا كان بين هذه الخمسين ما وضع وضعا، في أصول النحو، ص 198 .(): مصطفى صادق الرفاعي، تاريخ آداب العرب، ج 01، ص 286 .

1(): ابن جني، الخصائص، ج 01، ص 145 .

2(): ابن جني، مصدر نفسه ،01، ص 242 .

قائمـا أو قياماـا، و الاقتصـار علـى: عسـى زيـد أن يقـوم، و الثـالث المطـرد فـي الاستعمال، الشاذ في القياس، نحو استصوبت الأمر، و لا يقـال: استصـبت الشـيء ، و الرابع الشاذ في القياس و الاستعمال، نحو ثوب مصوون ، و مسك مدووف »[1].

و حقيقة هذا التقسيم ما هو إلا تقسيم فلسفي بحة بعيد كل البعد منطق اسـتعمالات اللغوية، فنشير مثلا إلى الضرب الثاني مطرد فـي القيـاس شـاذ فـي السـماع، و هـذا الضرب لم تتكلم به العرب، و أما المثال فهو على أقرب الظـن قـد يكـون مصـنوعا، فهو شاذ في الاستعمال، و الضرب الثالث مطرد فـي السـماع و شـاذ فـي القيـاس، و من المعلوم أن المقيس يقاس علـى المطـرد فـي السـماع، فكيـف قبلـوا هـذا ؟، و أمـا الضرب الرابع فهو غير موجد .

و نرى أنه كان بالأحرى على نحاة البصرة على الخصوص الأخذ بكل مـا سـمع و قيل، ثم تصنيفه على أساس المطرد و الشاذ فلا يضيع من علم العرب شيء، و لا بأس إن كثر الشاذ خير من أن يهمل فيضيع، و إن كان سبيلهم في ذلك تحـري الدقـة في الطرح، و ضبط استقراء، إلا أننا لا نعيـب عليهـم هـذا، فبهـذا اسـتطاعوا ضـبط قواعدهم،

فأخرجت في أحسن حلة .

و قد كان للكوفة أيضا سوقا كسوق البصرة، اشتهر بسوق " الكُناسة " تتوافد إليه العرب من القبائل المجاورة من بني تميـم و أسـد *، و يقـول سـعيد الأفغـاني : « و هي أقرب إلى أن تكون داعية إفساد اللغة أقرب منها إلى أن تكون عاملا في صيانته لأن الأعراب الذين يؤمونها غير سليمي السليقة »[2]، و ألست تميم و أسد قبيلتين مـن

1(): 98 ،01 ج ، مصدر سابق . ابن جني،

2(*): أسد بن خزيمة فـي مضـر « تاريـخ أدب العـرب، ج 01، ص 105 »(): سـعيد الأفغـاني، فـي أصـول النحو، ص 200 .

القبائل الستة الأقوى فصاحة، و قد أكثر البصريين الأخذ عنهم، فكيف يكون عربها مدعاة للفساد؟ .

و أيضا لم تكن السوق المصدر الوحيد لهم، فقد قيل أن سبب كثرة الشعر عند أهل الكوفة من أهل البصرة عن حماد الراوية انه قال: « قيل للمختار بن أبي عبيد: أن تحت القصر النعمان الأبيض كنزاً، فاحتفره، فأخرج تلك الأشعار، و من ثمّ أهل الكوفة أعلم بالشعر كمن أهل البصرة »[1]، إلا أن حمادا كان ينحل الشعر و ينسبه لغير قائله، و قال فيه المفضل: « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا، فقيل : كيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: إن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا لكنه رجل عالم بلغات العرب و أشعارها، فلا يزال يقول الشعر ينسبه به مذهب رجل و يدخله في شعره، و يحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء و لا

يتميز الصحيح منها غلا عنده عالم ناقد »[2] .

و قول الضّبّي يوحي أن نحل حماد لا خوف منه على النحو ، إذ أشعاره منتحلة لغير أصحابها لا غير، فلا تعرف لمن هي و هي صحيحة سليمة في الاستعمال لا يشوبها اللحن، فهو عارف بقواعد العربية عالم بها فلا يقع في اللحن و هذا هو المقصود .

صحيح أن الطبيعة الجغرافي قد أثر في الفكر النحوي الكوفي، ذلك من خلال طريقة التفكير التي تأثر في كيفية الاستقراء و الاستنباط، فالإنسان ابن بيئته يستمد منها شدتها و قسوة أرضها و مناخها، كما يستمد منها اللين و الاستسهال من صفاء جوها و عذوبة مائها، و هو ما تفتقده البصرة، و أيضا ما اكتسبته علماءها من علوم فقهية وتحري علماؤها ضبط نصوصهم، مما جعل الكوفيين يطمئنون إلى سلامة

1(): ابن جني، الخصائص، ج 01، ص 387 .

2(): الأصفهاني، الأغاني،ج 06،ص 89 .

اللغة، و حتى أنهم كانوا يفتخرون بتراثهم الديني و هذا ما أغناهم مشقة البحث و الترحال، فحاولوا تطبيق منهجهم الفقهي على دراساتهم النحوية اللغوية .

لقد سهل موقعها الجغرافيّ الهام لهم التقرب لدار الخلافة العباسية بغداد لكونها كانت عاصمة الدولة في بداية نشأتها، و أيضا لقربها من عاصمة الخلافة، فعز شأنهم، و انتشر علمهم بين الناس .

ي للفكر النحوي الكوفي :

تعتبر العراق موطن نشأة العلوم العربية، حيث سخر الله لها أناسا أفنوا حياتهم في تطويرها، و إكمال بناءها، و كان الفضل لمدينتي البصرة والكوفة في النشأة و التطور هذه العلوم، و برغم من كونهما على أرض واحدة، إلا أن للسياسة لعبت دورا كبيرا في التفرقة، زرع بذرة الضغن بين البلدين، و ذلك حين تولى الإمام عليّ الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان ـــ رضي الله عنهما ـــ خرجت عائشة أم المؤمنين(ت 58ه)[1] إلى البصرة، لمطالبة بدم عثمان، و كان معها طلحة(ت 3 6ه)، والزبير(ت 36ه)، بمشورة عبد الله بن عامر لما لطلحة من صنائع، ولأهلها فيه من هوى، و أيضا لعدم قدرتهم على أهل المدينة لقلتهم .

و خرج الإمام علي في آثارهما يعترض لهما ليردهم، فبلغه أنهما قد فاتاه»[2]، و في طريقه أعلم « خبر ثورة أصحاب الجمل على البصرة، و استيلاءهم على بيت المال، و أسروا واليها عثمان بن حنيف[3]»، فأقام بالرّبذة أياما، و كتب إلى أهل الكوفة:« (...) فإني اخترتكم و النزول بين أظهرك لما أعرف من مودتكم و حبكم لله و لرسوله ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ فمن جاءني و نصرني فقد أجاب الحق و قضى الذي عليه »[4]،و من هنا اشتهر أهل الكوفة بميلهم إلى الطاعة و خضوع عكس البصرة التي اشتهر أهلها بالنزوع إلى الشقاق و العصيان و

1() : قال د.مصطفى أبو ضيف أحمد« يبدوا أن موقف عائشة ـ أم المؤمنين ـــ تأثر بحادثة الإفك حين ارتاب علي في سلوكها و أشار في طلاقها إثر تخلفها عن ركاب رسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـ و لكن الله برأها من فوق سبعة سماوات ، و يبدوا أن عائشة لم تنسى لعلي ذلك» ، ص 284 .

2(): الطبري، تاريخ الطبري، ج 04، ص 450 .

3(): مصطفى أبو زيد أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ص 287 .

4()، الطبري، مصدر صابق،ج 04، ص 477 .

بالعصبية العربية، و هو السبب الذي دفع بعليّ لشق الصحراء للوصول إلى الكوفة في حين ترك البصرة و هي أقرب إليه من الكوفة .

و ما يجب ذكره أن عليا فضل الصلح، و أبقى خيار "الحرب كحل أخير كي يعصم دماء المسلمين"[1]، إلا أن رؤوس الفتنة حالوا دون اتفاق المسلمين، فكانت هي الحرب « في جمادى الأولى سنة 36ه بموضع " الخريبة "، مات طليحة إثر جرح أودى بحياته، و هو لا يدري أكان مصيبا بما فعله أم لا، و أما الزبير فقد تفطن لمصيبة الفتنة التي ألمت بالمسلمين و تذكر قول الرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ [تقتل"عمارا " [2] الفئة الباغية] فخرج من الميدان نادما، فتبعه "عمرو بن جرموز التميمي فقتله بوادي السباع» [3]، و انتهت المعركة بانتصار علي، و أعيدت أم المؤمنين إلى بيت رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـــــ و « قد أدركت عائشة خطئها في حق علي و عرضت عليه أن تسير معه لقتال عدوه معاوية »[4] .

فكانت هذه المعركة أول معركة بين المسلمين فاتحة بذلك أبواب الصراع على

الخلافة، وظهرت النزعة العصبية بين المسلمين، و خاصة بين البلدين، فالبصرة عثمانية، و الكوفة علوية، و ازداد هذا الخلاف بتعاقب الأيام، فأضمرت الكوفة في قلبها الكراهية و البغضاء للبصرة .

و من ذلك قول الأعشى همدان : على لسان الكوفة :

1(): ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 03، ص 99 .

2(): عمار بن ياسر

3(): مصطفى أبو زيد أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ص 288.

4(): مصطفى أبو زيد أحمد، مرجع نفسه ، ص 292 .

أَفَخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أعبُدًا و هَزَمـتُم مَرَةً آل عَــزَلْ[1] .

فَإِذَا فَاخَرْتُمُونا فَاذْكُرُوا ما فَعَلْنَا بِكُم يَوَمَ الجَمَلْ .

و عَفَوْنَا فَنَسَيْتُمْ عَفْوَنَا وَ كفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللهِ الأجَلّ[2] .

و بعد مقتل الإمام علي واستيلاء الأمـويين علـى السـلطة، كـان مـن الطـبيعيّ أن تنعم البصرة بالاستقرار و الهدوء إذ كـانوا مـن أنصـارهم، و أمـا الكوفـة فقد ذلـت بإتباعها عليا، لما اشتهر لرجال الدولة من قسوة و صـرامة علـى مخـالفيهم كـالزبير بن أبيه، و الحجاج ، و بإضافة إلى سياسة الدولة غيـر المنصـفة، إذ كـانوا يعـاملون الموالي « معاملة غير معاملة العرب، فحرموا من المساواة السياسية و الاجتماعية، فحرمـوا مـن الوظـائف الكـبرى فـي الدولـة، و مـن الغطـاء الـذي يسـتحقونه نظيـر التحـاقهم بـالجيش، بـل فرضـت عليهـم الجزيـة رغـم إسـلامهم، فسـيادة الجنـس العربي»[3]، فقد كانت الدولة الأموية عربيـة خالصـة، فخلفـاء الدولـة مـن العـرب و جندها و قوادها و عمالها من العرب، و كتابها و رجال الحكومة، فلـم يكـن لغيـر العربي أي حق في تولي منصبا من مناصب الدولة .

لقد كان لسياسة التعريب في عصر الأمويين أثر حميد على اللغة العربية، حـتى و إن كانت سياسة عنصرية لا تمت للإسلام بصلة، « لأن العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة و الدين، و لا بد منها لمن أقام في تلك الديار من المسلمين و غيرهم بعـد أن تحـولت دواوينهـا إلـى العربيـة ، فاشـتدت الحاجـة إلـى ضـبطها و جمـع ألفاظها» [4]ـــــ وذلـك فـي خلافـتي عبـد الملـك بـن مـروان(ت86ه/ 705م) و ابنـه

1(): العزل: الاعتزال و التنحي، و يريد بآل العزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .

2(): الأصفهاني، الأغاني ، ج 06، ص 55 .

3():521 مصطفى أبو زيد أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية ، ص .

4(): جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، ج 01، ص 212 .

الوليد(ت 96ه/ 715م)[5]ـــــ فظهر رجال أفنوا حياتهم في خدمة اللغة و الدين هدفهم المحافظة على القرآن الكريم من التصحيف، و منهم "أبو الأسود"[6]« الذي نزل البصرة مع أنه من شيعة عليّ، فالتف حوله الناس يدارسونه، و كان أغلبهم من الموالي، رغبة منهم في العلم لذاته غير طامعين في مغنم »[7] ، و لكن لما هل نستطيع القول بأنه كان لبعضهم أسباب أخرى، كالحظوة مثلا ، و ازدادت حفوة الخلافة بهم خاصة بعد ما ظهر في القرآن من تصحيف و تحريف آياته عن مواضعها أيام الحجاج بالعراق، نحو: (عذابي أصيب به من أساء)، و الأصل: (أشاء)، و قرؤوا أيضا:(و الذين كفروا في غرة و شقاق)، و الأصل في (عزة)، فأرسل لكتابه للإيجاد حل قبل تفشي الظاهرة، « فدعا نصر بن عاصم، و يحيى بن يعمر تلميذي أبي الأسود لهذا الأمر، فوضعوا نقاطا للشكل بمداد أحمر، ونقط الإعجام بلون المداد المستعمل في كتابة الحروف، و مع أن الناس استكرهوا ذلك غير أن الحجاج أخضعهم برأيه »[8] .

و من خلال هذا نجد السياسة كان لها دور كبير في عز علماء البصرة بتوكيلهم بمهمة نقط القرآن و شكله، فكانت بداية المدرسة البصرية، و لأن الخلفاء أثنوا العطاء و سخت أيديهم بالهدايا، فرغب الناس في التعلم و خاصة الموالي الذين عوملوا معاملة سيئة، و حرموا من أبسط حقوقهم الاجتماعية، و السياسة .

بعد تولي الخلافة عمر بن عبد العزيز الخلافة حاول الإصلاح ، فأمر بوضع الجزية عمن أسلم، لكن موته أدى لفشل هذه السياسة فسنت الجزية عليهم من جديد، فحركت هذه السياسة الشعور بالظلم لدى شعوب المقهورة و المغلوبة على أمرها، فكانت من أسباب سقوط الدولة الأموية، و ذلك حين التفقت دعوة العباسيين تحت

5(): مصطفى أبو زيد أحمد، مرجع سابق، ص 426 .

6(): جاء في نزهة الألباب: « أمر زياد بن أبيه أبا الأسود بوضع النحو بعد ما جاءه رجل فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، توفي أبانا و ترك بنون»، ص 21 .

7(): محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، ص 126 .

8(): محمود مصطفى، الأدب العربي و تاريخه، ج 01، ص 175 .

شعار "الخلافة لآل البيت"، فاحتضنتها و التفت حولها على أمل رفع الظلم عليها، فكانت أول الدعوة لها بالكوفة وخرسان، لكون الكوفة مركز لأنصار علي وولده، أما خرسان فكان بسبب معاملة الأمويين للفرس السيئة، و أيضا لأن«الحسين تزوج منهم بنت يزدجرد أخر ملوك

الفرس»[1]، إلى انتهت الخلافة الأموية « بموت أخر خلفاءها "مروان بن محمد" عند بلدة" بوصير " في ذي الحجة سنة 132ه/ 750م»[2].

و انتقلت الخلافة من بني أمية إلى بني العباس « ببيعة أبو العباس عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن العباس المدعو بـ: " السفاح " بالخلافة في 13 ربيع الأول سنة 132ه في مسجد الكوفة »[3]، و حولت دار الخلافة من دمشق إلى بغداد لتكون وسط أنصارها من الشيعة و الفرس، و اتسم العصر العباسي الأول بأن تولى العرش فيه الأمراء من رغّب في العلم و إجلال العلماء و الأدباء، و سهلوا نزوحهم إليهم، و بالغوا في إكرامهم، و قربوهم إلى مجالسهم، كما اتخذوا وزراءهم و أكثر أمراءهم و قوادهم من الفرس .

و قد قال العباس في أهل الكوفة :« يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا و منزل

مودتنا، و أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك و لم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا و أكرمكم علينا»[4] .

1(): محمود مصطفى، مرجع نفسه، ص 532 .

2(): عبادة كحيلة، العقد الثمين في تاريخ المسلمين،ص 179 .

3(): ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 05، ص 63 .

4(): نبيلة حسن محمد، تاريخ الدولة العباسية، ص 94 .

و من هنا نجد أن العباسيين حفظوا للكوفة هذا الصنيع، فكافئوها و أحسنوا لها الصنيع، فبزغ نجم الكوفة و تألق فعز جانبهم في بغداد، فكان منهم المؤدبين و المعلمين

لأبناء الخلافة، فالكسائي معلم الرشيد ثم الأمين و المأمون، و الفراء مؤدب أولاد المأمون، و ثعلب مؤدب عبد الله بن المعتز، فانتشر مذهبهم بين الناس، و ليس من الغريب أن يسعى الكوفيون للرفعة و الصفوة بين الناس، فحب إثبات الذات و حب النفس أمر غريزي جبل الناس عليه سواء أكان بين نحاة المدرسة الواحدة، أو بين المدرستين، فالتنافس العلمي أمر محمود ، فلولاه لما تطورت العلوم، و لا ازدهرت المعارف .

لقد لعب الخلفاء العباسيون دورا كبيرا في إذكاء شعلة المنافسة بين المدرستين بإجراء مناظرات بين النحاة المدرستين، و إن كانوا يفضلون بعض النحاة على بعض، و لقربهم منهم كما ذكرنا سابقا، إذ كان العباسيون يميلون إلى الكوفيين و يحاولون الانتصار لهم في المناظرات التي تقام مع البصريين .

و أفرد السيوطي لذلك بابا سماه (فن المناظرات و المجالسات و المذاكرات) في كتاب (الأشباه و النظائر في النحو) [1] و تحدث كثيرا عن هذه المناظرات، حيث ذكر سبع و عشرين مناظرة، مثل ما دار "مناظرة الكسائي و سيبويه"، و "مناظرة الكسائي و اليزيدي"، و "مجلس ثعلب و المبرد"، و "مجلس المازني و ابن السكيت"، و "مجلس الأصمعي و الكسائي"، مع ذكر بعض آراء النحاة ثم يدلي برأيه، بقوله: «و الصواب عندنا في المسألة أن يقال»[2]، و قد يكتفي بآراء النحاة و كأنه يضمر موافقته لآرائهم.

1(): السيوطي، الأشباه و النظائر في النحو، ج 03، ص 29 .

2(): السيوطي، مصدر نفسه، ج 03، ص 43 .

و يذهب محمد الطنطاوي أن لولا رجال الخلافة لما عُرِفَ نحو الكوفة، و لما سمع عن نحاة فيها، و بقوا طيّ الكتمان، و ذلك بقوله :« الحق أن السياسة هي التي عاضدت الكوفيين و أوجدت منهم رجالا كونوا مذهبا ناضل المذهب البصري، و لولاها لما لبثوا أمام البصريين في مساجلاتهم، لما قهروهم في مواطن كثيرة ظلما و عدوانا»[1]، و بهذا الكلام يقلل محمد الطنطاوي من مكانة النحاة الكوفيين، و يحط من قيمة نحوهم، فهو ليس بشيء أمام النحو البصري .

صحيح أن للسياسة العباسية دور كبير في إظهار المذهب الكوفي، و إعلاءه على المذهب البصري لمناصرة الحكام له، ولكن ينبغي القول: قد كان للكوفيين منهج صحيح في السماع، و إن لم يستقم لهم العمل به، و أيضا إذا سلمنا بهذا الرأي تسليما مطلقا ! فلابد أن نسأل أنفسنا: هل ائتمن رجال الدولة الكوفيين تعليم أولادهم لأنهم من شيعتهم و من مواليهم فقط أم أنهم لما آنسوا فيهم من علم و أدب ؟

و للإجابة على هذا السؤال، نستذكر معا، قول " سلمة " :« كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد فدعاه و سأله : كيف تأمر من السواك ؟، فقال له : أستك (...) إلى أن قال المهدي التمسوا لنا من هو أفهم من هذا الرجل، إلى أن جيء بالكسائي فقال: سك فاك يا أمير المؤمنين، فقال له : أحسنت و أصبت »[2] .

و قد كان أيضا الخلفاء العباسيين في العصر الأول من أكثر الملوك رغبة في العلم[3]، فالمنصور مثلا: له ذوق في الشعر و حافظا له، عارفا بحال الشعراء، و من ذلك ما روي عنه أنه« دس رسولا لابن الهرمة فيرى هل ينشده قصيدته الحائية التي يمدح فيها عبد الواحد بن سليمان الأموي أم قصيدته اللامية التي

1(): 169 ،ص . محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة

2(): 61 ص ، . ابن الأنباري، نزهة الأباب في طبقات الأدباء

3() : 19 ص ، 02 ج ، . جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية

المنصور بها، ثم قال: و ما أراه ينشدك غيرها، و لا يعترف بالحائية»[1]، و أما المهدي فقد كان ينتقد الشعراء و ينهاهم عن التشبيب« لغيرة شديدة كانت فيه، إذ نهى بشار الأعمى عن التشبيب حين مدحه قائلا:

كَأَنَمَا جِـنْـتَهُ أُبَشِّرُهُ و لَمْ أُجِئ رَاغِـبًا و مُـتَحَلِبًا» [2].

و أيضا كان الرشيد يحفظ الشعر ناقدا للشعراء، و من ذلك فيما روي عنه أنه« أمر بضرب"عبد الرحيم الدقّاف"بالسوط حين غنى في شعرٍ فاخر فيه بينه و بين أخيه»[3]، فمن هذا نجد أن رجال الخلافة قد كونوا من أهل علم و أدب، شغوفين للتعلم، و إن لم يكن الكوفيين ببراعة بعض البصريين، إلا أنه لابد من القول أنهم كانوا نحاة بحق، و كانوا ذو علم و بصيرة، و إلا لما صمدوا أمام نباهة رجال الخلافة، و وزراءها و كتابها، و فقهاءها .

و من الملاحظ أن مودة العباسيون لنحاة الكوفة قد تكون بسبب احتكاك الكوفيون بهم أثناء الدعوة، مما ساعد العباسيين على معرفة أحوال الناس بالكوفة، و أيضا« لقرب الكوفة من البصرة » [4]فذاع سيتهم في بغداد، و منه إلى قصر الخلافة، ففازوا بسبق الاتصال بالعباسيين، فقربوهم منهم، و كثر اختلاط بهم، فجالسوهم و تسامروا معهم، فاستأنسوا بعلمهم و أدبهم، حتى قيل أن الخليفة لا يخرج من قصره إلا و خرج معه مؤدبه، كما حدث للكسائي مع الرشيد، و قد كان« يجلسه على كرسي في حضرته، و يأمره ألا ينزعج لنهضته» [5]، مما

1(): الأصفهاني الأغاني ، ج 06، ص 122 .

2(): الأصفهاني، مصدر نفسه ، ج 03 ، ص 219 .

3(): الأصفهاني، مصدر نفسه ، ج 03 ، ص 267 .

4(): محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، ص 167 .

5(): جرجي زيدان، تاريخ أدب اللغة العربية، ج 02، ص 96 .

وّلد بين نحاة الكوفة و العباسيين نوعا من الألفة و المحبة، فزاد ذلك من معزتهم، و احترام الخلفاء لهم .

و آخـر كلام نقـوله فــي هـذا المبحـث، أن السياسـة بصـفة عامـة عاضـدت كلا المدرستين، و ظاهرت إحدى المدرستين على الأخرى، فالدولة الأموية مثلا ســاندت المدرسة البصرية، و إن لم نقل كـانت بدايـة المدرسـة بـأمر مـن أمـراء الخلافـة، و العباسية ساندت المدرسة الكوفية، و آزرت علماءها، فنقول إنما هي كلمة ألقاهـا، (
ㅎ ㄼㅎ ㄷ ㅁ ㅎ ㅅ ㅊ ㅅ ㅇㅛ ㅅㅛㅎ ㄸ ㅎ ㄺㅅㅈ ㄱ ㅌ ㅅ ㅎ ㅂ ㅌㅡ ㅈ ㅁ ㄱ ㅂ ㅈ
.ㄱ ㅅ ㄴ ㄴ ㄷ)[أل عمران/الآية مائة و أربعون] ، فدوام الحال من المحال و هذه هي سنة الحياة في الأرض، فسبحان الله يؤتي الملك من يشـاء، و ينـزع الملـك ممـن يشاء، يعز من يشاء و يذل من يشاء بيده الخير كلـه و هـو علـى كـل شـيء قـدير، و هذا ما حدث بين المدرستين، و من الطبيعي أن يلتف الناس حول أصحاب القـرار و ذوي السلطة و حاشـيتهم و هـو مـا حـدث مـع الكـوفيين حيـن مـا اتصـلوا بالخلافـة العباسية .

الأساس الديني للفكر النحوي عند الكوفيين :

للقرآن الكريم و قراءاته أثر كبير في التفكير النحوي الكوفي و ذلك من خلال اهتمامهم الكبير بالقرآن الكريم و قراءاته، حيث يبدأ اهتمام حين « أرسل عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ـــ المصحف إلى الأمصار و أرسل مع كل مصحف إماما عدلا ضابطا تكون قراءته موافقة لما في هذا المصحف، و أُرْسل مع المصحف الكوفي أبو عبد الرحمن السلمي (ت 74ه)*» [1]، و أيضا قد نزل بها بعض صحابة رسول الله أمثال: عبد الله بن المسعود (ت 32ه)، و علي بن أبي طالب، و تعد أيضا موطن الكثير من القراء منهم: يحي بن وثاب الأسدي(ت103ه)، عاصم (ت 127ه)، أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش (ت148ه)، و حمزة الزيات(ت 156ه)، و الكسائي(ت198ه)، و خاصة أن هذ الأخير الكسائي يعد أول من خالف البصريين و هو من القراء السبعة، و نحن هنا لا نستهين بأعمال جعفر الرؤاسي و معاذ الهراء إنما قد قلنا سالفا أن نحوهما كان شبيها بنحو البصرة.

1(*): قرء عن عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، و عبد الله بن المسعود، و زيد بن ثابت، و أبيّ بن كعب، رضي الله عنهم .(): صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية ، ص 137 .

أما الفراء و إن لم يكن من القراء إلا أن كتابه " معاني القرآن "« هو في الأصل كتاب في التفسير، إلا أن الفراء اتجه فيه بقوة اتجاهاً لغويا، حيث نجده أحيانا يفسر القرآن بالقرآن، و من ذلك مثلا : فعنده قوله سبحانه: ([illegible]) **[المائدة/ احدا عشرة و مائة]**، قال الفراء : يقول: ألهمتهم، كما قال: ([illegible]) ؛أي ألهمها»[1].

و قال الفراء في قراءة ابن كثير المكي في قوله تعالى:([illegible]) **[البقرة/ الآية السابعة و الثلاثون]** : « فـ (أدم) مرفوع و الكلمات في موضع النصب، و قد قرأ بعض القراء: (أدمَ)، فجعل الفعل للكلمات، و المعنى و المعنى ـــ و الله أعلم ــ واحد، لأن ما لقيك فقد لقيته، و ما نالك فقد نلته»[2]، و نلاحظ أن الفراء وجه القراءة توجيها لغويا على الرغم من مخالفة لقراءة جمهور القراء السبعة .

و قد جوز الكوفيون أيضا الفصل بين المضاف و المضاف إليه بغير الظّرف و

1() : إبراهيم الزهراني، توجيه القراءات عند الفراء، ص 29

2() : محمد هاشم درويش، موقف الفراء من القراءات المتواترة، ص 25 .

حرف الخفض لضرورة الشعر، و ذلك باستدلال بقراءة ابن عامر: (

[illegible])، **[الأنعام/ الآية مائة و سبعة و ثلاثون]** بنصب (أولادَهم) و جر (شركائِهم) ففصل بين المضاف و المضاف إليه، و التقدير:(قَتْلُ شُرَكَائِهِمْ أَوْلادَهم)، و لهذا كان منصوبا في هذه القراءة، و إذا جاء في القرآن ففي الشعر أولى، و « ذهب البصريون»[1]:« إلى أنه لا يجوز ذلك بغير حرف و حرف جر»[2]، و يذهب صاحب كتاب القياس في اللغة العربية محمد حسن عبد العزيز على جواز الفصل قائلا:« لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض: ابن عامر آخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب»[3]، و يقول سعيد الأفغاني:« و على هذا تكون القراءة حجة قوية على الفصل بين المتضايفين بغر الظرف(...)» [4]

.

1(): سيبويه، الكتاب، ج 01 ، ص 177 .

2(): ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ص 351 .

3(): محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، ص 72 .

4(): سعيد الأفغاني، في أصول النحو ، ص 44 .

و برغم من كثرة الشواهد التي تثبت اعتداد الكوفيون بالقراءات في تقعيدهم النحوي

سواء منها القراء العشرة أو غيرها، إلا أننا نجد أن لهم منحى أخر في تعاملهم مع القراءات:

_ إما بترجيح قراءة عل أخرى إذا كانت القراءتين متواترتان ، « قال الفراء في قوله تعالى:(﴿ ﴾ و(**يَعْزِبُ**) لغتان قد قرئ بهما، و الكسر أحب إليَّ»[1].

_ أو يحاولون الاستدلال على صحتها بالتماس وجه لها في العربية تخرج عليه مثل: قال الفراء في قوله تعالى: (﴿ ﴾) [ط٨/الاية الثالثة و السدتون]، و لست لأجترئ على ذلك، و قرء بعضهم: (﴿ ﴾ خفيفة...فقراءتنا بتشديد (إنّ) و بألف على جهتين:

إحداهما: على لغة بني الحارث بن كعب حيث يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما و خفضهما بالألف، و أنشد:

فأطرقَ إطراقَ الشجاعِ و لوْ يرَى مساغًا لناباه الشجاعُ لصمما »[2].

1(): إبراهيم الزهراني، توجيه القراءات عند الفراء ، ص 31 .

2(): محسن هاشم درويش، موفق الفراء من القراءات المتواترة، ص 37 .

و قـــــــال الخليـــــــل: يقـــــــرء (﴿ ﴾ ﴿ ﴾) بالتخفيف، و قرء أبو عمـرو و عيسـى بـن عمـر: (إن هـذين لسـاحران)، بتشـديد (إنّ)، و نصـب (هـذين)، بحجـة « أن فـي الكتاب غلطا سَتُقِيمه العرب بألسِنتها »[1]، و قد قـال الزجـاج فـي موضـع أخـر: « فأمـا قـراءة عيسـى بـن عمـرو و أبـي عمـرو بـن العلاء فلا أجيزهـا لأنهـا خلاف المصحف، و كل ما وجدته إلى موافقة المصحف أقرب لم أجز مخالفته، لأنـه إتبـاعه سنة، و لكني أستحسن: بتخفيف (إن) و فيه إمامـان: عاصـم، و الخليـل، و يستحسـن أيضا بالتشديد لأنه مذهب أكثر القراء، و به يقرا و هو قوي فـي العربيـة» [2]، و هذا ما كان يجب على النحاة فعله أن يذكروا وجوه القراءة، لا أن يتجـرؤوا علـى تخطئة قراءة متواتر، وهذا ما لا يجوز .

و مـن الكـوفيين مـن قـال:« " إن " هنـا بمعنـى النفـي، و اللام بمعنـى " إلا "، و التقدير: " ما هذان إلا ساحران " ، و حسن على أصلهم »[3] .

ـــــ و يقول الفراء في قوله تعالى : (**ثم عَمُوا و صَمُّوا كَثِيرٌ منهم**) **..** و « إن شئت

جعلت (عموا و صموا) فعلا لكثير كما قال الشاعر:

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَائِي النَخِـــيـ لَ أَهْلِي فكلهم أَلُومُ .

و هذا لمن قال : قاموا قومك .

و في هذه اللغة يقول الأخفش: و إن شئت جعلـت الفعـل للآخـر، فتجعلـه علـى لغـة الذين يقولون: أكلوني البراغيث »[4].

1(): الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، ج 03، 362 .

2(): الزجاج، مصدر نفسه ،ج 03، ص 364 .

3(): ابن يعيش، شرح المفصل،ج 03، ص 130 .

و من هذا كانت القراءات مصدرا هاما من مصادر الاستشهاد، فسند القراءات صحيح متواتر عن النبيّ ـــ عليه أزكى الصلاة و السلام ـــ فهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر و غيره، لأن شعار الرواة فيها الدقة و الضبط،« لأن القراءة سنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون»[1]، بل تقرأ كما سمعت عن أصحابها عن سمعت عن النبي، مادامت قد تحقق شرط التواتر و هو« نقل جماعة يستحيل عليهم الاتفاق على الكذب دون غيرهم؛ فلما اتفقوا علم أنه صدق»[2]، و من ثمة كانت في نظرهم مصدرًا لتقعيد القواعد، و بناء الأساليب، و تصحيح الكلام بغض النظر عن موافقتها للقياس أو عدم موافقتها، لأنها في ذاتها يجب أن تشتق منها المقاييس، فاتخاذ القراءات مصدرا للاستشهاد يغني اللغة بأساليب جديدة على الدوام، فلا يلجئ أهلها إلى اللغات الأخرى من خلال التعريب .

_ أما القراءات التي خطأها الكوفيون زيادة على ما ذكر هي كالأتي :

و قال الفراء في قراءة الحسن :«(و ما تنزلت به الشياطون) :" غلط الشيخ»[3].

استقبح الكسائي قراءة :« (بيت طائفة) بإدغام التاء في الطاء، مع أنها قراءة أبو عمرو و الكوفيين»[4] .

و قد ذكر محقق كتاب المقتضب أن «الحملة الآثمة على القراء بتلحينهم، ورد قراءتهم استفتح بابها، و حمل لواءها نحاة البصرة المتقدّمون ثم تطاير شررها إلى بعض نحاة الكوفة فأسهم فيها، فالفراء ينسب الوهم لبعض القرّاء الذين تواترت

4(): محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، ص 72 .

1(): الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، ج 02، ص 12 .

2(): السيوطي، المزهر، مج 01، ص 114 .

3(): أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ، ص 32 .

4(): أحمد مختار عمر، مرجع نفسه، ص 32 .

قراءاتهم في السبعة، كما كان الكسائي مشاركة في هذه الحملة»[5] و يزيد على ذلك «و قد كان المازني أستاذ المبرد نصيب موفور في قيادة هذه الحملة الآثمة فقد طاب له أن يختم كتابه " التصريف " بالطعن على القراء، و السخرية منهم، و عدهم من الجهلاء الذين يتعلقون بالألفاظ، و يجهلون المعاني، و قد اقتدى به تلميذه »[2].

و من ذلك تخطئته قراءة نافع بن أبي النعيم (ت 169ه) أحد القراء السبعة من المدينة، يقول فيه المازني:« فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة: ( ) [الأعراف/عشرة]، بهمز (**مَعَائِشَ**) فهي خطأ، فلا يلتفت إليها، و إنما أخذت عن نافع بن النعيم، و لم يكن يدري مالعربية، و له أحرف يقرؤها لحنا نحوًا من ذلك»[3].

إلا أن د. شوقي ضيف يقف أمام هذه الحملة الشعواء ضد نحاة البصرة مدافعا عن موقف المازني بقوله:« و هو في هذا الإنكار إنما كان يتابع الفراء الذي ذكر الآية ثم قال بعقبها:" معايش لا تهمز لأن مفردها مَفْعِلة (معيشة)، فالياء من الفعل ، فلذلك لم تهمز، إما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة مثل مدينة و مدائن، و قبيلة و قبائل»[4].

بهذا القول نرى شوقي ضيف يحمل الفراء مسؤولية فتح باب تخطئة القراء، و يعده أول من أنكر القراءة، إلا أن سعيد الأفغاني يقول في هذه القراءة بأن « جميع

1(): المبرد، المقتضب،ج 01، ص 119 .

2(): المبرد، مصدر نفسه، ج 01، ص 119 .

3( ): محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية ، ص 71

4(): شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص 222 .

نحاة البصرة قد خطؤها، و غال المازني في تخطئتها، ثم قال:« و كان على نحاة البصرة تصحيح قاعدتهم أو تذييلها بأن "العرب ربما حملت الحرف الأصلي على الزائد فعاملته معاملته إذا كان شبيهاً به في اللفظ"[1]، ثم عليهم أن يستشهدوا على ذلك بقراءة نافع هذه خاصة و أن هذه القراءة مسموعة عن عثمان بن عفان ـــ رضيّ الله عنه ـــ عن النبيّ ـــ صلى الله عليه و سلم ــ"، مذيلا قوله بقول أبي حيان:" و لسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة، لأن اللغة تثبت بالنقل لا بالمقاييس المبنية على الاستقراء الناقص»[2]، و من هذا فتخطئة القراءة من صنع البصريين فلم نحمل الكوفيين ذلك؟، و أيضا نلاحظ أن من النحاة المعاصرين من يوافق رأي الكوفيين في جواز الفصل بدليل الآية، و بذلك وجب اعتداد بالقراءة، و الأخذ بها حتى و إن خالفت القياس.

و نجد« لأبو العباس يطعن في قراءة حمزة في قراءة: (ㅅ ㅊ ㅅ. ㄴ ㅁ ㅂ ㄹㅆ
ㅍ ㄴ ㅎ ㄹㅌ ㅅ ㅇ ㅒ ㅃ ㅊ ㄱ ㅈ ㅂ ㄵ ㅈ ㄷ. ㅎ ㅅ ㄷ
ㅅ ㅈ ㅂ ㅅ ㅊ ㄸ ㅎ ㅁ ㅄ ㄷ ㅈ ㅈ) [النسـاء/الآيـة الأولـى] ، بخفض (الأرحامِ)، و هي قراءة إبراهيم

النخعي، و قتادة، و يحيى بن وئاب، و طلحة بن مصرف، و الأعمش،(...) [3]، و العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض قبيح و لا يجوز عند البصريين؛ نحو:"مررت بك و زيد" أو " به و خالد " لم يجز حتى تعيد الخافض فتقول:" مررت بك و بزيد" و "أما عند الكوفيين جائز بدليل الآية، بجر " الأرحامِ" على الهاء» [4] .

1(): احتج على النحاة بتواتر قول العرب(مصيبة و مصائب)، و هي مثل (معيشة و معائش) ،في كونها همزتها مقلوبة عن حرف أصل لا زائد .

2(): سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص 37

3(): ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 371 .

4(): ابن يعيش، شرح المفصل،ج 03، ص 78 .

وهنا أيضا يحمل د. شوقي ضيف الفراء تخطئة هذه القراءة حيث قال عن الخفض

فيها « في ذلك قبح لأن العرب لا ترد(لا تعطف) مخفوضا على مخفوض و قد كنى عنه و إنما يجوز هذا في الشعر لضيقه، ثم يحمل صاحب الأنصاف مسؤولية نسبة تضعيف هذه القراءة للبصريين، و مسؤولية حمل النحاة ذلك عنهم »[1].

و قال صاحب رسالة " توجيه القراءات عند الفراء ":«تضعيف قراءة متواتر، و هذا قليل، و من القراءات التي ضعفها قراءة الخفض...»[2]، فقوله هذا دليل على أن الكوفيين قلت تخطئتهم للقراءات .

و ذكرت عفاف حسانين رأي د. أحمد مكي الأنصاري في كتابه" الفراء و مذهبه في النحو و اللغة " فقد رأى عكس ما ذهب إليه شوقي ضيف حيث « ذكر أنه وافق البصريين في تخطئة القراءات»[3]، يحاول د. شوقي ضيف جاهدا تبرئة البصريين من

تهمة تخطئة القراءات، فيحمل الفراء كل الذنب بالرغم من أن الكثير من الدارسين يروا غير ذلك .

و هذه الأقوال على اختلاف قائليها نجدها قد برأت ساحة الكوفيين و خاصة أصحاب الخلاف بين المدرستين ـــــ الفراء و أستاذه الكسائي ـــــ من تهم شوقي ضيف بأنهما من فتحا باب تخطئة القراء، و تهكم على القراءات بالشذوذ، بل نجدهما لربما قد تأثرا بأستاذهما الأخفش حين قرء كتاب سيبويه عليهما، و من ثمة انتقلت بعض آراءه إليهما فتأثرا بها، فكانا على إثر خطى أستاذهما .

1(): شوقي ضيف، المدارس النحوية ، 220.

2(): إبراهيم الزهراني، توجيه القراءات عند الفراء ، ص 31 .

3(): عفاف حسانين، في أدلة النحو ، ص 62 .

نستطيع القول بأن الكوفيين كانوا أكثر اعتدادا بالقراءات، و أكثر قبولا لها من البصريين، و ذلك راجع لتوسعهم في قبولهم اللغات والأخذ عنها، لأنهم اطمئنوا لها، و بهذا استطاعوا التخريج للكثير من القراءات، فقلت تخطئتهم لها، إلا أنهم لم يكونوا أوفر حظا مع كل القراءات، فرموا ما لم تأويله، و لا ندري لم يخرجوا لها وجها من وجوه العربية؟، و نحن لا نعترض على ما فعله النحاة في عدم قبول بالقراءات قبولا مطلقا لاختلاف وجوه القراءات التي قرء بها القرآن، و تعدد لغات العرب، و اختلاف شدة فصاحة بين القبائل، لكن ما كان عليهم التجريح في القراءات، و وسمها بما لا يليق بكلام الله؛ كالتضعيف،أو وصفها بشذوذ، و هو أمر لا يجوز من أشخاص قد عرفوا العربية وفنونها، فكيف يرمون قراءة متواتر بسند صحيح عن النبيّ ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ بالنقص وأخر كلمة لنا هنا هي:

(﴿ ﴾ [الحشر/الآية عاشرة] .

الخاتمة

الخاتمة :

و يمكن حصر أهم النتائج المحصل عليها على النحو التالي :

01 _ أهل الكوفة أهل قرآن، و فقه، و حديث، و روايـة، و أخبـار، حـتى و إن توجهوا في دراسة اللغة، إلا أن طابعهم الأدبي غلب الطابع اللغوي، و من ثمة كانت الكوفة أوفر حظا في الرواية و الشعر، و كانت البصرة أوفر حظا في اللغة .

02 _ استقلت المدرسة الكوفية بمذهب خاص عـن مثيلتهـا البصـرية، و إن لـم تخالفها في الأصـول العامـة للنحـو، بـل خالفتهـا فـي الفـروع و القيـاس و العوامـل،

فأحكام النحو ثابتة لا تختلف فيه المدرستان، بل تختلف تعليل الأحكام، و تقدير العامل و المعمولات، و هذا راجع لسبب اختلاف المنطلقات الفكرية للإنسان .

03 _ نشأة المدرسة الكوفية مع جعفر الرؤاسي، و معاذ الهراء، حتى و لو لم يخالفوا البصريين، فهما كأبي الأسود الدوؤلي منشأ المدرسة البصرية، حيث قيل عنه أنه واضع نقاط الإعجام للقرآن و حسب و لم يتعمق في النحو كما هو معروف الآن، و بالرغم من ذلك فو مؤسس المدرسة .

04 _ الكسائي أول من اشتهر بالأخذ عن الأعراب الحطمة، و هو من فتح الباب أمام الكوفيين بعده الاتساع في الرواية، كونه على رأس الطبقة الثانية للنحاة الكوفيين، و كل من أتى بعد إما تتلمذ عليه، أو تتلمذ على أحد تلامذته، فكان الرائد في الأخذ بالشاذ .

05 _ لم تظهر المدرسة الكوفية مرة واحدة، بل بدأت مع أبي جعفر و تطورت مع الكسائي و الفراء، حيث يعداني أول من فتحا باب الخلاف مع البصريين، و اكتملت مع ثعلب، إذ حافظ على تدريس بالمذهب الكوفي، و لم يدرس بالمذهب البصري .

06 _ تميز الكوفة عن نظيرتها بثلاث مميزات هي كالآتي: التوسع في الرواية، إذ تفتح كل ما يرد إليها من أشعار و لغات شاذة، و الميزة الثانية، الاتساع في القياس، بحيث يقاس على الشاذ و القليل، و النادر دون مراعاة لمدى ندرته و شذوذه، و الثالثة اختلاف في المصطلحات النحوية و ما يتصل بها من عوامل .

07 _ المدرسة الكوفية أقرب إلى الواقع استعمال اللغة، حيث قبلت أغلب المسمع عن كلام العرب، فلا حجة لغة قبيلة على أخرى في الفصاحة، فلكل قوم لغتهم، و القرآن خير دليل على ذلك، إلا أن الوقت لم يكن حليفا لهم حيث ظهر المذهب البغدادي الموازن بين مذهبيّ المدرستين.

08 _ المذهب الكوفي أصح، و أسلم في تعامله مع اللغة، و أنه أكثر بساطة و يسرا من المذهب البصري، إلا أنه لا يصلح أن يكون نحوا تعليمي، لأن من شروط التعليمية تحديد الظاهرة، و لو سمح للمتكلمين الحديث لمجرد وجود له وجه في العربية، و لما وجدنا قيود تضبط قواعد اللغة .

09 _ لعب رجال الخلافة دورا هاما في مظاهرة مدرسة على الأخرى، حيث عزي البصرية في عصر بني أمية، في حين ذلت الكوفة كونها معقل شيعة علي _

كرم الله وجهه _ ، أما بعد تولي العباسيين الخلافة، انقلبت الموازين، فذلت البصرة بعد عز، و عزت الكوفة بعد ذل .

10 _ توسع الكوفيون في قبول القراءات أكثر من البصريين، و فقبلوا منها الكثير، و أحسنوا لها التخريج، و التأويل، إلا أنهم وقعوا خطاء تخطئة بعض القراءات، أو تخطئة القراء إذا عجزوا إيجاد لها وجها من وجوه العربية .

قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم، الخطاط عثمان طه، برواية حفص، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، سورية، ط 01، 1405ه .

أ ــ المصادر :

01 - ابن الأثير : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين « 630ه »)، الكامل في التاريخ، تح أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1407ه/1987م .

- ابن الأنباري: (أبو البركات كمال الدين بن أبي سعيد الأنباري « ت 577ه»):

02ــ الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين و الكوفيين، تح جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخناجي، القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م .

03 - نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط 03، 1405ه/ 1985م .

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ « 150ه ــ 255 ه»):

04 - البيان و التبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخناجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1418ه/ 1998م .

09 - الحيوان ، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحنبلي و أولاده، مصر، ط 02، 1384 ه/ 1965 م .

05 - ***أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري بن الباذِشِ «ت 540ه»)***، الإقناع في القراءات السبع، تح عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط 02، 1422ه/2001م .

06 - بن جني :(أبو الفتح عثمان بن جني)، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، ط 02، 1376ه/ 1957م .

07 - خالد بن عبد الله الأزهري (ت 905 ه)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1421 ه/ 2000 م .

08 - الرضي : (رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي «ت 688ه »)، شرح الرضي على الكافية، تح يوسف حسن عمر، منشورات قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط 02، 1996 م .

09- الزبيدي: (أبو بكر محمد الحسن الزبيدي الندلسي)، طبقات النحويين و اللغويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،، مصر ط 02، 1984م.

10 - الزجاج : (أبو إسحاق إبراهيم بم السّري «ت 311 ه ») ، معاني القرآن و إعرابه، تح عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 01، 1408ه/ 1988م .

11 - ابن السراج :(أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي « ت 316ه»)، الأصول في النحو، تح عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1417ه/ 1996م .

12 - سيبويه : (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر « ت 180 ه»)، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخناجي القاهرة، مصر، ط 01ـ 1408ه/ 1988م.

- السيوطي:(الحافظ جلال الدين عبد الرحمن «849ه ــ 911 ه»):

13- الأشباه و النظائر في النحو، تح عبد الإله نبهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، 1407ه/ 1987م .

14- الإقتراح في علم أصول النحو، دائرة المعارف الطامية، حيدر آباد، ط 01، 1311 ه .

15 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، مصرن ط 02، 1399ه/ 1979م .

16 - المزهر في علوم اللغة و أنواعها، مكتبة التراث، مصر، ط 03، د ت .

17 - الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري « 224ه _ 310ه »)، تاريخ الطبري «تاريخ الرسل و الملوك»، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1977 م .

18 - أبو العباس: (أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب المشهور بابن قنفذ القسنطيني « ت 809ه»)، الوفيات، تح عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 04، 1403ه/ 1983م .

19- ابن العماد : (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي « 1036ه_ 1089ه »)، شذرات الذهب في أخبار

من ذهب، تح عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ــ بيروت، لبنان، ط 01، 1406ه/ 1986م .

20 - ابن فارس: (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي « 390ه»، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 01، 1414ه/ 1993م.

21 - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، تح عبد الرحيم محمود، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ط 1371،02ه/ 1952 م .

22 - القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (451ه_526ه)، طبقات الحنابلة، تح عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الملك فهد، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419ه/ 1999 م .

23 - القفطي : (الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي « 624ه»، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 01، 1406ه/ 1986م .

24 - ابن مالك : (جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي « 600ه ــ 676ه»)، شرح التسهيل، تح عبد الرحمن السيد و آخر، دار هجر للطباعة و النشر، المهندسين، جيزة، مصر، ط 01، 1410ه/ 1990م.

25 - المبرد : (أبو العباس بن يزيد المبرد « 610ه _ 385ه »)، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع الأهرام التجارية، مصر،ط 03ـ 1415ه/ 1994م .

26 - ابن منظور: (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظورالإفريقي المصري « 630ه ــ 711ه»)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 01، 1300 ه .

27 - ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 ه/ 1977 م.

28 - ابن يعيش : (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي « 643 ه »)، شرح المفصل،إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دت .

ب - المراجع :

29 - إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية « أسطوة و واقع»، دار الفكر، مصر، ط 01، 1987 م .

30 - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب « مع دراسة لقضية التأثير و التأثر»، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 06، 1988 م .

31 - عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني(743ه _ 1346 م)، إشارة التعيين في تراجم النحاتو اللغويين، تح عبد المجيد دياب، شركة الطباعة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1406ه/ 1986م .

32 – تمام حسان ، الأصول « دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحوـ فقه اللغة ــ البلاغة»، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1460ه/ 2000م .

33 - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تعليق شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، مصر، 1894م .

34ـ سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية، 1414ه/ 1994م .

35 - شوقي ضيف ، المدارس النحوية، دار المعارف القاهرة، مصرن ط 07، 1992م.

36 - صبري الأشوح ، إعجاز القراءات القرآنية « دراسة في تاريخ القراءات و اتجاهات القراء »، مكتبة وهيبة، القاهرة، مصر، ط 01، 1419ه/ 1998م .

- ***عبد العالي سالم مكرم :***

37 - الحلقة المفقودة في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط 02 ، 1413 ه/1993م .

38 - أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، ط 02، 1969 م.

39 - عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلة، العقد الثمين في تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط 01، 1417 ه/ 1996م .

40 - عرفان محمد حمّور، سوق عكاظ و مواسم الحج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيرون، لبنان، ط 01، 2000 م .

41 - عفاف حسانين، في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط 01، 1996 م .

42 - علي النجدي ناصف، تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، مصر 1978م.

43 - عوض أحمد القزوي،المصطلح النحوي « نشأته و تطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري»، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، المملكة العربية السعودية ط 01، 1401ه/1981م .

44 - فخر صالح سليمان قدارة، مسائل خلافية بين الخليل و سيبويه، دار الأمل للنشر و التوزيع، الأردن، ط 01، 1410ه/ 1990م .

45- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 05، 1983 م .

- ***عبد الكريم محمد الأسعد :***

46 - الحاشية العصرية على شذوذ الذهب، دار الشواف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1416ه ــ 1995 م .

47 ــ الوسيط في تاريخ النحو العربي، دار الشواق، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1413ه / 1992م .

48 - محمد شاطر أحمد محمد، الموجز في نشأة النحو، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 11403ه / 1983م .

49 - محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، مصر، ط 01، 1415ه/1995م .

49 - محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1995 م .

50 - محمود مصطفى ، الأدب العربي و تاريخه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط 02، 1356ه/1937م .

51 - مصطفى أبو ضيف أحمد ، دراسات في تاريخ الدولة العربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ط 04، 1986م .

52 - نبيلة حسن محمد، تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية، مصر،1993 م .

53 - عبد الهادي الفضلي، مراكز الدراسات النحوية، مكتبة المنار، الأردن، ط 01، 1406ه/ 1986م .

ج – المجلات :

54 - محسن هاشم درويش، موقف الفراء من القراءات المتواترة في كتابه معاني القرآن ، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية دبي، العدد السابع و العشرون، 1425ه/2004م) .